

شعارَةُ الْوَحِيد
إِلَى الإِسْلَامِ
مِنْ حَدِيدٍ

٤٨١٩
١٤٢٩ هـ

البعثة الإسلامية

مجلة إسلامية شهرية

العدد الرابع - المجلد ٢٩
ذو الحجة ١٤١٤ - مايو - يونيو ١٩٩٤

مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص. ب ٩٣ لكونا



72336-73864

REGD. NO. LW.NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

APRIL & MAY - 1994

صدر حديثاً :

بِقَلْمَ سَاحَةِ الْعَلَمَةِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسْنِ عَلَى الْحَسْنِ التَّدوِي

الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِمَاعِيلِ الْبَخَارِي

وَكَتَابُهُ صَحِيحُ الْبَخَارِيُّ



الْحَدِيثُ وَالْأُسْنَةُ وَدُورُهُ مَفْيِي الصِّيَانَةِ

عَنْ تَحْرِيفِ وَالْأَخْرَافِ



محاضرة قيمة ألقيها العلامة التدوى في مؤتمر نظمه المركز
الإسلامي بأوكسفور حول اعادة و بناء مسجد و مدرسة
الإمام البخاري في مدينة سمرقند في شهر أكتوبر ١٩٩٣ م.

قام بالنشر :

دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله ، رانے بريل (الهند)

قام بالنشر والتوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلامة
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

٦٨١٩
١٤٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم



برکات

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في عام ١٩٥٥ م ١٢٧٥ هـ

العدد الرابع

المجلد التاسع والثلاثون

زور العجمة ١٤١٤ هـ

مايو و يونيو ١٩٩٤ م

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوبي
واضح رشيد الندوبي

الراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكانو - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93. Lucknow (INDIA)

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم ، البعث الإسلامي ، تجتاز الآن عامها التاسع و الثلاثين ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار في خدمة البعث الإسلامي ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة في الظروف القاسية التي تجتازها الأمة الإسلامية و يتعرض لها المسلمون في كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كابراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بخلاف أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم يبذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة و توسيع نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي تحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا
والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .



الاشتراكات السنوية :

* في الهند : مائة روبيه

ثمن النسخة عشر روبيات :

* في العالم العربي وفي جميع دول العالم .

٢٠ / دولاراً بالبريد السطحي .
٣٦ / دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم (ALBAAS-EL-ISLAMI)

بالعنوان التالي :

مكتب البعث الإسلامي ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكانو (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

* المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها .

الافتتاحية :

بين أدب الأصالة و أدب العدائية

لم يكتف الحقد الصليبي الأعمى بالتركيز على إيجاد ظروف مضادة تعين على إلغاء الخلافة العثمانية ، التي كان يعتبرها رمزاً للحضارة الإسلامية ، ومنارة تضيئ الطريق نحو مهد الإسلام ومركز الإشعاع الديني في عشرينيات هذا القرن ، ولكن هذا الحقد الصليبي تشجع وبرز بقوة أحدث وسلاح أقوى . لتدمر حضارة الإسلام والقضاء على أيديولوجياته الحضارية والاجتماعية ، التي يقوم عليها صرح التاريخ الإسلامي ، والحياة الإسلامية التميزة التي جاء بها الإسلام ، وأرادتها تعاليم الكتاب والسنة في سبيل بناء الإنسان ، وتفجير طاقاته لتكوين المجتمع الأفضل الذي يتولى السعادة والأمن ، ويتناول قضايا الإنسان وأزمات الحضارة بحلول طبيعية تربط الحياة الإنسانية بالعلاقات الإيجابية البناءة ، وتنظيمها بين الإنسان والكون والحياة ، وبينه وبين رب السماوات والأرض ، الذي يقول : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . فجعلناه سميعاً بصيراً . إنما هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » .

لقد أدرك حملة لواء هذا الحقد أن القرآن بلغته وببلغته وجمال أسلوبه وتأثيره يقوم بإحباط جميع المحاولات التي تبذل سبيل هدم القيم الخلقية التي يدعو إليها الإسلام ، والتي تتکفل بالسعادة والأمن والوحدة . إنهم بلغوا من الذكاء في هذا المجال مبلغاً قرروا فيه تشويه البلاغة وخدش جوهرة الأصالة في الأدب والبيان ، و وضعوا منهاجاً

في هذا العدد

الفقرة الأولى :

بين أدب الأصالة و أدب العدائية

التوجيه إلى الإسلام :

نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

٢ سعيد الأعظمي

ساحة العلامة

١٠ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي

١٢ سعادة الدكتور علي القاضي

أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية

الكلمة الإسلامية :

مكانة العقل

الصراع و موقفنا منه

الفقرة الإسلامية :

سريان الأحكام من حيث الزمان والمكان

في الفقه الإسلامي

ولاية التحكيم في الإسلام

حقوق الإنسان و موقف الإسلام منها

دراسات في السنة :

كتاب رسول الله - ﷺ - إلى معاذ بن جبل

بين الضعيف والموضع من الأحاديث

دراسات أدبية :

أدب الرسول - ﷺ -

فضيلة الدكتور

محمد عبد الشهيد النعماني

فضيلة الشيخ مجيد الله الأسعدي

٤٩ سعادة أ. د. محمد الدسوقي

٥٠ سعادة الدكتور شوكت محمد عليان

٥١ البروفيسور المساعد محمد مغيض الدين

٥٢ .

٥٣ فضيلة الدكتور

٥٤ محمد عبد الشهيد النعماني

٥٥ فضيلة الشيخ مجيد الله الأسعدي

٦٩ عبد الغالق الأعظمي الندوبي

٧٠ سعادة الدكتور عدنان علي رضا النعوي

٧١ فضيلة الأستاذ

٧٢ عبد العالج الأعظمي الندوبي

٧٣ واصح رشيد الندوبي

صور وأوضاع :

نحو عالم جديد

للقضاء على نقاء رسالتها ودورهما في بناء الحياة النزيهة والحضارة الإنسانية الرفيعة ، وأقبلوا على تقليل قيمة الأدب الذي يحمله كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، بل وقطع صلته عن الحياة الإنسانية ، وأكدوا أن ذلك أصبح أدباً متروكاً وبياناً ميتاً لا يساير ركب الحياة ولا يساعد الإنسان في البحث عن أفضل منهج حضاري حديث .

هناك انطلقت الدعوة إلى إضعاف اللغة العربية وفصلها عن خطها الأصلي ولهجتها الفصيحة . فتصدى كثير من عرقوها بالعداء للغة العربية التي يحملها مصدر التشريع الإسلامي الكتاب والسنة . وفي مقدمتهم « دنلوب » الذي قام بوضع خطة التعليم في مصر وانضم إليه في هذه الدعوة جميع أعداء اللغة العربية حتى إن مجلة مجمع اللغة العربية في مصر نشرت مقالات حول كتابة العربية بالخط اللاتيني وتعيم الهجات العامية بدل اللهجة الفصيحة ، منهم عيسى إسكندر المعلوف ، والمستشرق « جب » الشهير ، وحايم ناخوم كبير حاخامي تركيا ، الذي قام بدوره الكبير في إلغاء الخلافة العثمانية ورصد جميع طاقاته وسائله في خدمة الصهيونية وتمزيق وحدة المسلمين ، وقطع علاقتهم بلغة وأدب القرآن الكريم ، ومحو آثاره البلاغية بتغيير خط الكتابة إلى الحروف اللاتينية .

ومن العجيب أن يتحمس لهذه الدعوة الهدامة ومحاربة لغة القرآن الكريم وأدبه ، رجال من أدباء وشعراء الدول العربية الإسلامية الذي ارتووا من مناهل اللغة العربية وبلغوا إلى ما بلغوا إليه من مكانة أدبية من أجل هذه اللغة الكريمة وحدها ، فيضموا صوتهم إلى صوت الأعداء السافرين والساخرين من أدب الإسلام وتراثه ، ذلك كالدكتور « أنيس فريحة » أستاذ التاريخ والدراسات السامية في الجامعة الأمريكية ، في

البعث الإسلامي
بين أحب الأئمة وأحب الحادثة

بيروت ، والشاعر اللبناني « سعيد عقل » والشاعر المصري « بدر نشأة » والشاعر اللبناني « موريس عداد » والشاعر اللبناني الذي ارتد عن الإسلام إلى النصرانية وكان اسمه الإسلامي « أحمد سعيد علي » وغيره بعد الردة إلى « أدونيس » وغيرهم من تربوا في أحضان الحقد والعداء ضد لغة العرب وأدب القرآن الكريم . ولقد كان جل اعتماد أدباء الأدب والشعر هؤلاء على وسائل الإعلام ، وخاصة على الصحافة التي كانت أكثر تأثيراً في العقول وأسرع نفوذاً في المجتمع ، فاتخذوها ذريعة للمهجم على فاعلية الأدب والبيان الأصيل الذي يحويه كتاب الله بين دفتيه . فكان من الطبيعي أن يسيطر على أجهزة الإعلام ولا سيما الصحافة العربية أقلام مشبوهة لليهود والنصارى لكي يصرفوها عن وجهتها الأصيلة ، و يستبدلوا الفكر النقى والشعر والأدب بأفكار ساقطة مزدوجة ، يصرح بذلك « جب » يقول : « إن الصحافة أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي ». .

ساعد على ازدهار هذه الفكرة دعوات قام بها رجال من مثل الأدب والثقافة في هاتيك الدول إلى نشر الحضارة الغربية وثقافة أوروبا بجميع ما فيها من شعر وأدب ولغة التعبير . ومنهم طه حسين ، وقاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد ، وسلامة موسى وغيرهم من وجهو الدعوة إلى الشعوب العربية الإسلامية نحو اتخاذ الحضارة الغربية قاعدة انطلاق للأدب والثقافة . فقال طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » : « إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ، ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها . حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يُحمد وما يعاب » .

وهذا سلامة موسى الذي يهاجم الحضارة الإسلامية ويحارب أدب الإسلام وثقافته . يقول :

« إذا أخلصنا النية مع الإنجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم ، وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضى على الرجعية في مصر وننتهي منها ، فلنول وجهنا شطر أوروبا » .

إنه لم يجد لغة أفعى وتعبيرًا أبلغ لعرض فكرية المشبوهة التي هي إعلان سافر ضد الأدب الإسلامي وثقافته الواضحة النقية ، غير لغة القرآن وأدبه ، فويل من أكل من مائدة أدب الإسلام ثم لم يلبث أن استخدمه لحاربته بوقاحة منعدمة النظير .

وسار على هذا الدرب جميع حملة الأفكار الحاقدة على أدب الإسلام ولغة القرآن وبلايته ، إنهم ينادون بمحاربة الرجعية (الإسلام وثقافته وتاريخه وآدابه) يسمونها رجعية لأنها تمت إلى تاريخ الإنسان في الإسلام ، ويتناسون أن ما يدعون إليه من الحضارات الفرعونية والأشورية والبابلية والأوروبية الوحشية ، التي لم يجد فيها الإنسان بغيته من حياة سعيدة وعيش مطمئن ، إنما هي في الحقيقة رجعية تعود بالإنسان إلى عصر الحجارة الهمجية والجهل والفقير وحياة كحوش والبهائم التي لا تعرف للسعادة والأمن والعزّة معنى .

من هذا المنطلق ظهر إتجاه الحداثة في الأدب (شعرًا ونثرًا) ونال انتشارًا في أوساط الشباب الفج وأنصار المثقفين والأدباء . ذلك الذهب الأدبي الحديث الذي أبدى انتباهه إلى الأدب الغربي ، وادعى بالحداثة في الفكر واتخاذ أدوات الإعلام والتعبير الحديثة مظهراً لهذا الأدب الذي طالما نادى بالانطلاق من قيود الأخلاق والإنسانية والفضائل وبالاعتماد على الرذائل والجرائم في أداء وظيفة الحياة ، فالحادي يتنفس في

البعث الإسلامي
بين أدب الأصالة وأدب العادة
مستنقعات الجريمة والرذيلة ويعيش فيها من غير حباء إلى ما شاء . ولا يكتفي بذلك بل يتحدث ويعبر عنه بلغة ساقطة وأدب هزيل . وبيان معوج ، وأسلوب مبتذل ضعيف . يشهد بذلك الأدب الحداثي من الشعر والنثر ، الذي يعتزون به ويسموه أدباً ، وهيهات أن يكون ذلك أدباً في أي مفهوم !

ومما يؤسف له أن هذا الذهب الأدبي الساقط وجد من ينتصر له في العالم الإسلامي ويدعوا إلى توظيف الأدب لخدمة النزعات الفاسدة والانزلاق إلى المهاوى السحيقة من اللأخلاقية والانحراف الخلقي والشذوذ الجنسي بمفهومه الأوسع . إنه أقصى الدين والأخلاق عن الحياة بالاطلاق . وكل شيء له علاقة بالدين يجب أن يهان ، وكل ما يتعلق بالفضيلة والأخلاق يستحق أن يداوس بالأقدام . إنه يدعو إلى التحرر من جميع القيود التي يميز الإنسان عن جنس الوحش والبهائم ويرفعه إلى مكانة التمييز بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، وقد سخر نفسه للسخرية من العقائد الإيمانية . والاستهزاء بالجنة والنار . والحضر والنشر والحساب الآخرة ، وذلك بالترحاب الحار بكل جريمة خلقية ، وانطلاق بهيمي ، وتحرر جنسي ، وإعلان عن الفواحش وتحبيبها بكل وقاحة وسفور ، وتصوير أشكال الرذائل بغية من الكشف والوضوح . وإثارة للغرائز دفعاً إلى ارتكاب الفواحش من غير رادع ولا وازع .

قاد هذا الذهب الحداثي باسم الأدب والفن ، ذلك الشخص الذي ارتد عن الإسلام وخلع على نفسه لقب « أدونيس » و ألف كتاباً سماه : « الثابت والتحول » ركز فيه على شرح جميع أركان الردة والانحراف والزندة والإلحاد ، وعرضه على الناس بلون الحداثة والإبداع . وأكد لهم أن كل أدب يخلو عن هذا اللون فهو مرفوض . وليس له قيمة في سوق الأدب

العدد ٤ - المجلد ٣٩ - ٥، العدد ١٤١٤
والفنون . وقد ظفر بجماعة من انصاف المثقفين العرب من صدقوا له ، وروجوا هذا المذهب الحديث باسم الإبداع والفن ، والجمال والحرية . كان منهم محمد جبر الحربي . و محمد التبيتي . و عبد العزيز المقالح . وصلاح عبد الصبور . وحسين مرود الزعيم المفدى للحزب الشيوعي اللبناني . عبد الله العروي . و محمد عابد الجابري . وبدر شاكر السياب . و محمود درويش . وأحمد الربيعي . وقاسم الحداد . ومن إليهم من المعجبين بأدونيس ومذهبة الحداثي ، هنا يحلولي أن اقتطف مما كتبه الدكتور جميل عبد الله محمد المصري في كتابه « حاضر العالم الإسلامي » وهو يتحدث عن هذا المذهب الأدبي الهدام :

« واستبعد الحداثيون العرب الدين من معاييرهم وموازينهم ، إلا أن يكون ضمن ما يسمونه بالخرافة والأسطورة . فهم يسعون من خلال الغموض إلى إنشاء وإيجاد واقع فكري جديد منفصل ومقطوع عن واقع الأمة الفكري ، وعن ماضيها العلمي والعقلي والأدبي ، في الشكل والمضمون ، فهم يحطمون الاطار العام للغة العربية لتحويلها مع الزمن - من خلال استبدال مفرداتها وتراتيبها ومعارفها - إلى لغة جديدة لا صلة لها باللغة العربية الفصحى المعروفة ، تماماً كما حصل لللاتينية التي تحولت بهذه الطريقة إلى لغات متعددة » [حاضر العالم الإسلامي : ص ٢٠٥] .

ذلك هو الأساس الأول والمتين الذي يقوم عليه المذهب الحداثي في الأدب وأدب الحداثة كما يسمون ، وهو على ضد ما هو عليه واقع الأدب الأصيل الذي جاء لتهذيب الحياة و تصفيل الكفاءات . و تنزيه الاتجاهات ، والميول ، و وضعها في خدمة الحياة الإنسانية وربط علاقتها بمصدر العز والخشمة والقوة والجمال . وهو الأدب الطبيعي الذي يتمثل في بلاغة القرآن الكريم والسنة ، ويفيض معينه في تعاليم الدين

البعث الإسلامي
بين أدب الأصالة ، وأدب الحداثة
وتوجيهات الإسلام التي أخرجت الإنسان الناشر الذليل من ظلام الجهلة والكفر والوثنية والضلالة . ومن عفونة الرذائل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد والهداية وإلى روائع الفضائل وجمالها وسعادة الاطراف على عتبة الله تبارك وتعالى والحب والطاعة والأمن والسلام .

ذلك هو الأدب الواقعي الذي أضفى على الحياة والإنسان والكون لونا ثابتاً من الطهر والعفاف والحب والجمال ، وفتح الطريق نحو السعادة الخالدة ، وأكرم الإنسان بوظيفة الحياة الحقيقة . ورفع مكانته إلى قمة الاتصال بالملائكة الدائم .

فهل نسمع للحداثيين بأن ينسخوا جميع هذه القيم والمثل العليا بجرة قلم ويعودوا ببني جلدتهم إلى مزابل الجرائم الخلقية ويترعرعوا بهم في أوساخ التحرر والانطلاق الوحشي ، ويربوا الأجيال على خلال من لأخلاق لهم في الدنيا والآخرة ، ولا رسالة لهم في الحياة والكون ؟ ! ولعل الآيات التالية تصور النوعين من الأدب وأصحابهما في روعة بلاغية وأدب إلهي وبيان قوي ساحر :

﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدرك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين . الذين يكذبون بيوم الدين . وما يكذب به إلا كل معند أثيم . إذا تلتى عليه آياتنا ، قال : أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحظون . ثم إنهم لصالوا الجحيم . ثم يقال : هذا الذي كنت به تكذبون . كلا ، إن كتاب الأبرار لفي عليين . وما أدرك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهد المقربون . إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نظرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ . وصدق الله العظيم .
سعيد الأعظمي

لها المبدأ من البلاد الرأسمالية والديمقراطية . بل لعلها كانت - لاحتفاظ بعقيدتها الشيوعية وروحها الثائرة - أدق تطبيقاً له . وأشد غيرة على مبادئها ، جاء في بيان رسمي صدر في ١٢ نوفمبر ١٩٥٨ م . « إن العلوم العمرانية والاجتماعية تمثل دوراً حاسماً في تحقيق خصائص المجتمع الشيوعي . إنه من الضروري أن يكون أصحاب الاختصاص في كل فن على اطلاع كافٍ بالمبادئ الماركسية واللينينية . إنه يجب أن يتلقى شبابنا تربية تسري بها فيهم روح الفت الشديد ، والتعصب ضد الرأسمالية والرجعية » (١) .

وبذلك سلم الغرب من هذا التناقض الذي يعيشها الشرق ، سواءً الأقطار الإسلامية منه وغير الإسلامية . فلا وجود في الغرب لهوة عميقة سحيقة فكرية وعقائدية بين واحد ونمط الشعب والقيادات . أو الجماهير والحكومات ، إنما هناك طراز واحد للمبادئ والقيم والمثل والغايات . وليس هناك صراع فكري ونفسي عنيف قاس بين مختلف الطبقات وأفراد المجتمع . ولذلك أمن الثورات الداخلية ، والمؤامرات ضد سلامة الشعب ، ومصالح البلاد .

وتتلنّو الغرب أقطار شرقية ذات فيها العقيدة من عهد بعيد ، وهي لا تؤمن بحقائق تقوم على الإيمان بالغيب واتباع الرسل ، وليس عندها تعاليم سماوية معينة أو صحف سماوية محفوظة . وإنما تتمسك بالتقاليد والأعراف . والمصالح القومية والفردية التي لا تتحداها هذه النظم التربوية . وليس منها سبيل . فهي سليمة كذلك من هذا

(1) George S. Count, "The Challenge of Soviet Education" New York : McGraw Hill Book Co. 1957 pages 50-51 : 32 .

التجييف الإسلامي : نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

وأثره البعيد في إتجاهاتها وقياداتها

[الحلقة الثانية الأخيرة]

ساحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي

ونكتفي بشهادة أخرى أكثر تركيزاً وأشد صراحة لأحد علماء التربية

: Vernon Mallinson)

« إن التعليم القومي عبارة عن ميثاق فكري تتجلى فيه غاية المجتمع المشتركة ومساعيه المشتركة . ويمثل هذا الميثاق العاطفة القومية . ويكون مزيجاً من خصائص لابد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع وأهدافه (١) ». .

وقد أخذ الغرب - على اختلاف نظمه السياسية ومدارسه الفكرية ، ومعسكراته الشرقية والغربية وعلى جميع علاته وعيوبه التي ننتقدها - بهذا المبدأ التعليمي . وطبقه تطبيقاً دقيقاً شاملأ في جميع مجالات التربية . وأصبحت المناهج التعليمية وسياسة التربية خاضعة لهذا المبدأ المقرر .

ولم تكن روسيا الشيوعية المعروفة بالتطرف والثورة أقل تطبيقاً

(1) "An Introduction to the Study of Comparative Education" (London 1957 Page 4).

وأتجاهاته ، فإذا كان قوي النفس قوى الإرادة حاول أن يزيل انتقاض العهد القديم أو الرجعية (كما يقول بعض أفراد هذه الطبقة) ويخلص الأمة والبلاد من ركام الماضي . وهنالك تقوم معركة تستهلك طاقات وكفايات كانت الأمة أحوج إليها . وتقوم حرب داخلية قد تكون أطول وأعنف من الحروب الخارجية . وهذه قصة بلاد ابتليت بزعamas دانت بمبادئ وفلسفات ثورية أو قومية أو علمانية .

وإذا كان هؤلاء الأفراد ضعيفي النفس والشخصية والإرادة : أصيروا بمركب النقص . وبكره شديد للعقائد والأهداف التي يؤمن بها الشعب . فيحيكون المؤامرات ويمالئون الأجانب . وينتهزون كل فرصة للتخلص من ضغط الشعب الديني . ونفوذ الدعاة الذين ينادون بالإسلام . فتكثر حوادث الخيانة القومية . وتعيش البلاد في جو من الاضطراب والإرهاب . وعدم الثقة والشك والبلبلة الفكرية .

ولا سبيل إلى التخلص من هذا الوضع غير الطبيعي وغير الضروري إلا قلب هذه الأوضاع التعليمية رأساً على عقب . وصياغتها صياغة جذرية جديدة . وهي قضية العالم الإسلامي الكبرى . وضرورته القصوى . ونداء الوقت وفرضية الساعة .

وهنا أختتم حديثي باستعارة قطعة من إحدى كتاباتي السابقة . ومعذرة للقراء الكرام الذين مررت بهم هذه القطعة قديماً :

حل المشكلة :

” حل هذه المشكلة - مهما تعقد وطال واحتاج إلى الصبر والمثابرة - ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغًا جديداً ، ويلائم بعقائد الأمة المسنة ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها . ويخرج من جميع مواده

العدد ٤ - المجلد ٣٩ - ٢، السنة ١٤١٤
البعث الإسلامي
التناقض الذي يولد نظام التربية الغربي ، بل هي في اصطلاح وتفاهم مع هذه النظم . أو تكيف نفسها وأفكارها وفق هذه المناهج وموادرها . فالثورات والمؤامرات فيها قليلة بالنسبة إلى الأقطار الإسلامية . والتناقض قليل وضعيف لا أثر له في الحياة القومية . والغدر القومي والخيانة الوطنية نادرة جدًا . وليس بين الطبقة المثقفة والوجهة للبلاد ، وبين الجماهير ذلك الخليج الواسع الذي نشاهد في الأقطار الإسلامية . وإن أدوات هذه الأقطار وعيوبها من جنس آخر ، ولها أسباب ترجع إلى تاريخها وطبيعتها وعقائدها . وفقدان الوازع الديني وقلة الوعي . وفساد نظام التربية .

أما الأقطار الإسلامية فهي مسرح للتناقض العجيب بين الطبقات الحاكمة أو الزعيمة ، وبين الجماهير في جانب ، وبين الطبقات المثقفة ثقافة عالية والطبقات التي تغلب عليها الأممية . وبين الطبقات الم الدينية المحافظة وبين الطبقات التحررية التقنية في جانب آخر ، وذلك كله نتيجة نظام التربية الغربي المستورد من الخارج ، أو المصوغ في الداخل على فكرة النظام الغربي وخطوطيه . فهو ينشئ جيلاً لا يسيغ العقائد والحقائق التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية ، لأن ما يعطيه هذا النظام ويغرس في النفوس والعقول يتناقض تناقضًا واضحًا مع العقائد والحقائق التي يؤمن أو يحب أو يؤمن بها هذا المجتمع أو الأمة . وإذا أساغها فإنما يسيغها بمعجزة أو بتأثير خارجي يضعف سلطان هذا النظام ، وذلك شأن لا يقاس عليه .

وإذا وجدت هذه الطبقة أو الجيل الذي نشأ في أحضان هذا النظام . ورضع بلبانه . بقي في صراع دائم مع عقيدة الشعب وعقليته وعواطفه

روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم الخلقية والروحية ، وعبادة الجسم والمادة ، وينفع فيه روح التقوى والإبناة إلى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الإنسانية كلها ، فمن اللغة والأدب إلى الفلسفة وعلم النفس ، ومن العلوم العمرانية إلى علوم الاقتصاد والسياسة ، لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة ويقصى استيلاء الغرب العقلي ، ويكره بإمامته وسيادته . وتجعل علومه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة ، ويوضح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الإنسانية والمدنية ، وتدرس علومه بشجاعة وحرية ، وتعتبر كمواد خامة (Raw Material) نصنع منه ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا ، وعقيدتنا وثقافتنا .

إن هذا العمل ولو كانت في طريقه عقبات وعراقييل ولو تأخرت نتائجه ، ولكنه حل وحيد لل媿ة الطاغية التي قد اكتسحت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، موجة التجدد والتغرب التي تتحدى الكيان الفكري للإسلام وجهازه الاجتماعي . وظلت تهدد حياته وبقائه ، ونتيجة لذلك أصبحت عاطفة الشعوب المسلمة وتضحياتها وجهودها وإخلاصها ووفاؤها (التي هي السبب المباشر الأساسي في إنشاء الحكومات الإسلامية ، وتحرير البلاد المستعمرة) وقوداً حقيراً في نار التجدد والتغرب ، وأصبحت الجماهير المسلمة السليمة الخلصة . التحسنة الصامدة . قطعاً من الغنم يتحكم في رقابها هؤلاء القادة والولاة . وتساق إلى أي هدف في صمت وهدوء (١) .

(١) «نحو التربية الإسلامية الحرة» : ص ٤٢-٤٥ .

العمل المطلوب : ما هو الجانب المحدد ؟ المعين الرئيسي في هذا الزمان ، ما هو الواقع المحدد الآن في البلاد الإسلامية ؟ إنها إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة بصلاحية الإسلام ، ليست بصلاحية الإسلام فقط ، بل بصلاحيته للقيادة وحل المشاكل ، ولصياغة المجتمع صياغة سلية عصرية ، جديدة صحيحة ، فالجانب الذي أريد أن أركز عليه اهتمامكم الآن ، وأركز عليه طاقتكم وإمكانياتكم ، وذكاءكم ومهجوركم في بلادكم ، هو إعادة الثقة بصلاحية الإسلام في الطبقة المثقفة ، لأن هذه الطبقة المثقفة قد ضعفت الثقة بصلاحية الإسلام فيها أو فقدت تماماً ، لأن النظام الدعوي التربوي العصري الغربي هو نجح في ذلك نجاحاً ، تسعين في المائة تقريباً ، أو تسعًا وتسعين في المائة ، فإن الطبقة المثقفة التي تخرجت من الكليات والجامعات ، أو رجعت من الغرب بعد الدراسة ، أو تخرجت من جامعاتها الكبيرة ، لا أقول : إنها ضعفت فيها الثقة ، بل هي فقدت ثقتها تماماً بصلاحية الإسلام ، فالآن القضية الرئيسية المركزية عندهم هو إزالة هذه الثقة عن نفوس الشعب ، والتحرر من ربقة الإسلام ومن قيوده الشرعية والخلقية والتشريعية ، والقانونية والمدنية .

هذه هي الحرب الحقيقة المسافرة التي توجد الآن في البلاد الإسلامية ، ما هي الحرب ؟ أقول لكم بكل صراحة وعلى بصيرة وعن تجربة واختبار ، إنه لا حرب في بلد إسلامي بين الإسلام والصهيونية ، لا حرب بين الإسلام والصلبيّة ، ولا حرب بين الإسلام والنفوذ الغربي ، لا حرب بين الإسلام وفساد الأخلاق ، هي حرب واحدة ، هي حرب بين الطبقة المثقفة الرئيسية التي تملك زمام الحكم وبين الزعماء . وبين الجمهور والشعب لإزالة هذه الثقة بصلاحية الإسلام . إنهم يقولون بلسان الحال ، نعم الإسلام كان ديناً مثل دوراً ، دوراً محموداً جزاء الله خيراً ، جزى الله القائمين به ،

أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية

بقلم : سعاده الدكتور علي القاضي - القاهرة

يعني المعهد العالي للفكر الإسلامي عنابة كبيرة بكل ما يساعد المسلمين على العودة إلى الذات الإسلامية . حتى يستطيعوا أن يؤدوا وظيفتهم في هذه الحياة فيكونوا خير أمة أخرجت للناس .

وفي مقدمة ما يعني به أزمة التعليم المعاصر في الدول الإسلامية وكيفية حلها حلا إسلاميا ، ذلك لأن العلبة قد نفذت إلى صميم نظامنا التعليمي وأحدثت الشرخ الكبير الذي عزل علوم الدنيا عن علوم الدين وفتت الإطار القيمي والأخلاقي والروحي الذي كان يحكم ويرشد نشاطنا التعليمي كله ..

ولذلك فإن مفهوم العبادة أصبح مقصورا على الشعائر التعبدية . ولم يتعد المفهوم الشامل لها وهو : كل جهد إسلامي مخلص يتوجه إلى تحقيق أمانة الاستخلاف وعمان الأرض وتحقيق عزة الإسلام والمسلمين باستجواب الإمكانيات على مختلف المجالات .

ولذلك ضعف الحافز الديني للانطلاق التعليمية الشاملة في ميادين العمران . وكان ذلك سببا أساسيا في تخلف حركة التمدن الإسلامي . ترى كيف نتخلص من هذه المشكلة ؟ سؤال يجيب عليه القائم بأمر المعهد . فيقول :

" إن تحقيق إسلامية النظام التعليمي هو المدخل الشرطي الجوهرى

إنه رد على الوثنية السافرة ، وإنه أزال وأد البنات ، وإنه أعطى النساء بعض الحقوق ، وإنه أزال بعض المنكرات وبعض العيوب الخلقية . وبعض الذمائم من المجتمع العربي ، ولكن الإسلام قد مضى زمنه . فقد وقف وتقدم الزمان ، إنما هي قضية القيادة وقضية الصياغة للحضارة والقانون . وأن يتصرف ويتحكم في حياة الإنسان ، ويقول : هذا حرام وهذا حلال ، وهذا معروف وهذا منكر . هذا دين وهذا لا دين - لا - هذا لا نصح بذلك ، الإسلام قد قضى دوره ، الإسلام قد انتهى أجله ، إنه قام بدور محمود في التاريخ . إنه قام بعملية إصلاحية محدودة في جزيرة العرب وخارج الجزيرة ، ولكن الآن في هذا العصر المتmodern الراقي الذي يطير الإنسان فيه في الهواء ، ويسير في البحر ، والذي وصل إلى القمر ، وركز الرأية على القمر ، إن الإسلام لا يستطيع أن يسايره ، ويفوضه ، ويحل مشاكله .

فهل من بلد إسلامي أو حكومة إسلامية أو جامعة من الجامعات المرموقة في عواصم العالم الإسلامي تلبى هذا النداء ، وتركز جهودها وعنایتها وسائلها على تحقيق هذا العمل البنائي الثوري الذي ينقد العالم الإسلامي من أكبر خطر يتهدهد بل من عملية الهدم والإبادة الشاملة التي لم تعرف إبادة أكبر نجاحاً وأعمق منها أثراً في تاريخ الأمم والملل والديانات والحضارات . فهل من مجيب ؟ وقد قال الله تعالى :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٩٥] . وقال : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾ [سورة بنى إسرائيل ، الآية : ٢١] .

إن القتل المعنوي ليس أهون من القتل الجسماني ، ولا فرق بين السُّم الناقع الذي يسرع بالإنسان إلى الموت . وبين السُّم الذي يتدرج به الإنسان إلى الموت . وقد نهى الله عن كل ذلك فقال :

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم . إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٢٩] .

.....

لتحقيق التنمية الشاملة في الأمة ، لأنها السبيل الطبيعي لتكوين الجيل المسلم قادر على تمجيد طموحات الأمة نحو النهضة والتقدم . لأنها الوحيدة التي تضمن حصانة الشخصية المسلمة من ازدواجية العقل وازدواجية الوجود ، إلى جانب أنها الوحيدة أيضًا القادرة على تحقيق التواصل الحضاري بين ماضي الأمة وحاضرها في إنسان طبيعي ، والوحيدة أيضًا القادرة على شحن الكبراء الراشدة في النفس المسلمة » . ترى ما مظاهر أزمة التعليم ؟ سؤال يجيب عليه الأستاذ الدكتور زغلول النجار ، فيقول في كتاب « أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية » الذي أصدره المعهد ، بقوله : إن أزمة التعليم المعاصر تظهر في تزايد أعداد الأميين وفي ازدياد نوازع الشر في الإنسان وميله إلى العنف وفي فساد مجتمعاته وخلوها من الثقافة وفي تحلله الأخلاقي وفي فشله في حمل رسالته في هذه الحياة .

والسبب يرجع إلى أن التعليم المعاصر قد أصبح خاليًا من الأخلاق والقيم ، والتعليم بهذه الفلسفة لا يساعد المتعلم إلا على النمو بقدراته المادية على حساب ملكاته الروحية والنفسية والتزامه الأخلاقي ، وذلك يخرجه عن الفطرة الإنسانية السليمة .

وهذا الإنسان يشكل خطراً حقيقياً على نفسه وعلى الحياة كلها ، ويكتفي معرفة القنابل بكل أنواعها التي تكفي لتدمیر الحضارة بكل منجزاتها على هذه الأرض .

تعليق أزمة التعليم : ويحل المؤلف الفاضل أسباب أزمة التعليم .

فيقول : إن الأسباب تكمن في الآتي :

أولاً : أسباب اقتصادية واجتماعية :

فالعملية التعليمية أصبحت باهظة التكاليف ، ولذلك فقد أصبح التعليم يعاني أزمة في نقص العلمين وفي نقص المباني وفي الوسائل التعليمية وغير ذلك . ولن يمكن التغلب على هذه الأزمة إلا بتقليل النفقات الهائلة على التصليح في كل مكان .

ثانياً : جمود النظم التعليمية :

وعدم قدرتها على التغيير بالسرعة الكافية في مجتمعات تميزت بمعدل هائل في التغيير خلال النصف الأخير من هذا القرن ، مما أدى إلى عدم صلاحية الخريجين وفشلهم في الحياة .

كيف تغلب على هذه المشكلة ؟ إن بناء الشخصية المنتجة المتخلقة بالأخلاق الفاضلة هي قضية التعليم الأولى ويجب أن يكون الاهتمام بالروح قبل الجسد وبما يعلم الطلاب قبل البناء الذي يتعلمون فيه وبالتغيير الذي يمكن أن يحدث في الإنسان قبل الدرجة العالية التي يمنحها له ، وهذه أمور خارجة عن الأطر المادية . فقدرة الإنسان على التحكم في نفسه وفي ضبط تصرفاته واعتقاده في قيم أخلاقية معينة والتزامه بها وإيمانه بمثل عليا يحيا لها ويموت في سبيلها : هي العوامل الرئيسية التي تحدد سلوكه .

ثالثاً : أسباب تربوية للأزمة :

الاستعمار الأوروبي نقل نماذجه التعليمية إلى البلاد التي استعمرها - نقلها بطريقة مشوهة - فقد كان يهدف إلى تلقين القيم السائدة في الدول المسيطرة وإلى إعداد الشباب ليكونوا في خدمة المستعمرات . وحتى بعد رحيل الاستعمار ، بنت الدول أسسها التعليمية على قواعد مستوردة مع

أن التربية يجب أن تنبع من ذاكرة الأمة وعقيدتها وتراثها .

رابعاً : اتباع نظم قبول متباعدة وغير سليمة :

فالجامعات تقبل طلبتها على أساس نتائجهم في امتحان الثانوية العامة وهو مقياس قد يخطئ في تقويم القدرات الشخصية للطلاب .

خامساً : اقتصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات :

ذلك لأن نظم التعليم قصرت دورها على نقل المعلومات وذلك يشكل أحد الأسباب الأساسية لازمة التعليم المعاصر .

سادساً : اقتصار هدف الطلاب على الحصول على الشهادة :

ولذلك اقتصر الاهتمام على الحفظ حتى يحصلوا على الشهادة وأدى ذلك إلى فشل العملية التعليمية والانحراف في القيم .

سابعاً : اتباعها لنظم مناهج محدودة :

فالمناهج غير مترابطة لا تهتم بتنمية الملاكات الفردية أو القدرات الذهنية أو التعرف على الذات أو إحياء الضمير الشخصي أو الالتزام بالقيم الأخلاقية .

ثامناً : اعتمادها على نظم الامتحانات وحدها :

مع أن المطلوب أن يكون التقويم عن طريق الصلة الوثيقة بين المعلم والتلميذ حتى يمكن أن ينمى ملకاته ويعالج أوجه القصور فيه ، أما الامتحان وحده فقد أدى إلى مشكلات نفسية وانهيارات عصبية واللجوء إلى الغش .

تاسعاً : انقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة وعن المجتمعات :

والسبب في ذلك انشغالها بقضايا تجريدية نظرية ، وقد أصبحت

المعارف غير مترابطة والصلة بينها وبين البيئة مقطوعة ، ولم تعد تهتم بهم أسرار الكون ولا بمعرفة علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى ، ولذلك ظهرت الحروب الطاحنة والصراعات الاجتماعية وقضايا التفرقة العنصرية ونظم الحكم الاستبدادية وأزمات الجوع وتلوث البيئة وانحراف الشباب وتفكك الأسر وانفلات المرأة ومشاكل الأقليات والنزعة النفسية غير المرتفعة بقيم أخلاقية . جعلت كل معلم ومتعلم يفرط في البعد الديني والأخلاقي .

وإلى جانب ذلك توجد هناك أدوات نفسية للأزمة وأدوات أخلاقية وأدوات دينية ، ذلك لأن التربية لم تقم على الأساس الرباني الذي يجعل العملية التعليمية عملية تربية متكاملة يهتم فيها بالسلوك الشخصي والالتزام بالأداب الخاصة والمعاملات . قدر الاهتمام باستيعاب النصوص وفهم آلاتها وسلامة التعبير وجمال النطق وحسن الاستدلال .

وال التربية في الإسلام :

تمتاز بالشمول والتوجيه والدعوة الدائمة إلى التسامي وإلى مراقبة السلوك ومحاسبة النفس وهي تراعي مكونات الإنسان المختلفة في وحدته الذاتية وترتبط بين الوحدة الذاتية المركبة بين الفرد والمجتمع وبين الوجود كله وبين الوجود وخالقه .

وتقوم على الدعوة إلى التسامي وإلى ارتفاع الإنسان إلى المثل الأعلى ، وذلك يتم من خلال محاسبة النفس وإحياء الضمير الديني .

كما أن هدف التربية في الإسلام ما هو إلا بناء الإنسان الصالح لا المواطن الصالح الذي يتصرّد دوره في إطار القومية الضيق لا إطار

الإنسانية الرحب ، الذي يجمع الجوانب المادية والمعنوية في الكون : (الإيمان الصادق - العمل الصالح - الخلق القويم) . وانعكاسات ذلك كله على الحياة بكل أبعادها وعلى الأفراد والجماعات مهما تباينت الألوان والألسنة واللهجات .

والقرآن الكريم :

قدم للإنسانية دستوراً أخلاقياً شاملأً يقوم على الالتزام والمسؤولية والجزاء والنية والجهد و يجعل المحور الحقيقي للتربية (الإنسان) .

وال التربية في الإسلام :

تفصل بين الفتى والفتاة في كل مراحل التربية وذلك إكراماً للمرأة وصوناً لها واعترافاً بحقوقها . وتجعل هناك لوناً مختلفاً للتربية الفتاة يتلاءم مع دورها الذي أعدت له .

وأساليب التربية في الإسلام :

تميز بالتنوع في شمول معجز وتكامل دقيق وتوازن محكم وإيجابية سوية ومثالية واقعية ومنها التربية بالتلقيين وبالقدوة وبالمحاكاة وبالتعليم والممارسة وبالعمل والتكرار وبالقصة وبإثارة العواطف وبالحوار وبالمسألة والتكرار .

وبذلك يمكن أن نتغلب على أزمة التعليم المعاصر . ونببدأ صفحة جديدة في التعليم المنتج القائم على أساس الإسلام وقيميه وأخلاقه ومفهومه الشامل . وبناء الإنسان المسلم البناء الكامل الذي يمكنه من أداء وظيفته في هذه الحياة .

....

مكانة المعرفة

الدعوة الإسلامية :

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة «البحوث الإسلامية» - الرياض

هل خطر ببال أي إنسان أن يرى مركبة من المركبات كالسيارة أو القطار مثلاً . وهي تندفع بسرعة ، في إحدى المدن المكتظة بالسكان . وبدون أن يمسك بمقودها إنسان يوجهها ، ويحدد مسیرتها . ثم ماذا تتوقع أن تتركه من أثر في البشر ، والمتلكات .. وبأي صفة يطلق على من كان ذهراً بذلك العمل ؟؟

لا شك أن مثل هذا الأمر ، سيحدث له أثر كبير ، وخسارة جسيمة . فاما الخسارة ظاهرة . وأما الأثر فهو من كان وراءها . ودوافعه إلى ذلك ، وإهماله واستخفافه بالناس ، وقد يقصر لذلك محاكمات ودراسات .. ولن تكون العقوبة على المركبة . وإنما على من حرك هذه المركبة لأن المركبة لا عقل لها ولا إرادة .

وما ذلك إلا أنه من بديهييات المعارف عند الإنسان أن الجنادن والأحجار والأشجار . والبهائم بأنواعها . كلها مسلوبة العقل ، ولا تطالب بما يطالب به الإنسان الذي كرمه الله بالعقل . وزانه بما يتحلى به من علوم و المعارف جاءت نتيجة للعقل . وضمن محصلاته وما يوجه إليه . والعقل الذي يتبصر به الكائن البشري فيما حوله . ويدرك به ما يكتنف حياته . وما يجب عليه أن يأخذ به من أمر حسن ، أو ينتهي عنه من أمر قبيح . هو هبة من الله لبني آدم . وكرامة رفع الله بها قدرهم ليدركوا المهمة الحقيقة التي أوجدوا من أجلها . ول يعرفوا النهج السليم

الذي اختاره الله لهم ، كما قال سبحانه وتعالى : « ولقد كرمنا بني آدم من خلقنا تفضيلاً » [سورة الإسراء ، الآية : ٢٠] .

إذ رفع الله به الإنسان عن تصرفات الحيوانات ، وجمود الجمادات ، وتسخير الأشجار ، فكل هذه الأمور وغيرها مما في معهود البشر ، محسوساً على ظهر الأرض ، قد هيأه الله منفعة للإنسان . وأعطى العقل لكي يستعمله في الاستفادة مما حوله لนาفعه الدنيوية . ولكي تكون معينة له على المهمة الأساسية ، التي أوجد في الدنيا ، وليعمر الأرض من أجلها ، وهي عبادة الله وحده ، والارتباط به جل وعلا وجداً نادياً بحسن العقيدة ، وعملياً بحسن الامتثال ، كما جاء في الحديث القديسي : « ابن

آدم خلقتك لأجلِي فلا تلعب ، وخلفت كل شيء لأجلِك فلا تتعب » .

والمرشد لهذا العقل حتى يكون عمله سليماً ، ومعتقده صحيحاً ، هو ما أنزله الله من كتب ، وما بعث من رسل .. منذ أن خلق الله آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حيث حماها الله من العبث والتبدل لتحمل البشرية البشائر والنذائر ، حتى تقوم الحجة ، وتنقطع المحجة ، وقد أبان الله ذلك في قوله الكريم : « وما كنا معدبين حتى نبعث رسولاً » [سورة الإسراء ، الآية : ١٥] ، ويقول سبحانه وتعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل . أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير . فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قادر » [سورة المائدة ، الآية : ١٩] .

وبعد موت رسول الله محمد - ﷺ - كان في حفظ الله لكتابه الكريم عن التعديل والتبديل ، وفي جهود العلماء والدعاة المجددين بين فينة وأخرى ، ترسیخ للبشرة والنذارة ، وكان لإعمال الفكر ، وتدبر العقل ، أهمية في

إدراك ما يجب على الإنسان أن يفعله ، ومعرفة الطريق الأقوم في أسلوب الهدایة والاسترشاد .

ولذا أخبر - ﷺ - بقول جازم مقووًنا بالتوثيق عند ما قال : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي أو نصراوي ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار » .

والإنسان لا يغدر بانصراف عقله عما يجب عليه عمله تجاه علاقته بالله عقيدة ، وما يتبع ذلك من عمل ، إذ كيف يلتمس لنفسه العذر ، وهو الحرير على أمور الدنيا : مكسباً وعملاً ، وإجاده وسمعة .. والعقل السليم هو الذي يحرص على قيادة صاحبه لما يرتبط بالله وشرعه ، أمكن مما يقوده لصالح الدنيا المادية .

وقد وصف الله الذين عطلوا عقولهم فيما يرتبط بالعلاقة بالله جل وعلا ، والإتجاه لشرعه الذي شرع لعبادة بالأنعم التي تقاد يميناً وشمالاً ، دون أن تعرف الهدف من ذلك ، حتى إنها تقاد لحتفها وهي لا تدرى ، فقال سبحانه وتعالى : « ألم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . إنهم إلا كالأنعم بل هم أضل سبيلًا » [سورة الفرقان ، الآية : ٤٤] .

فالجمل والثور ، والفييل والحسان ، وغيرها من الحيوانات الكبيرة في حجمها ، الشديدة في قوتها ، قد أعطيت أجساماً وقوه ، وذللها الله للإنسان لتحقيق منافعه الدنيوية ، فكان الصبي الصغير يستطيع قيادتها ، ولو سلطها الله ، لفتكت بقوتها قدرات الإنسان ، وحطمت عليه كل هدوء في حياته .

ولو هاج واحد منها ، كما نسمع في الأخبار ويرد في الحكايات هنا وهناك ، فإن الغرابة قد تكون كحادثة المركبة التي أسلفنا عنها افتراضًا ، لأن الحيوان لديه قدرات على الحركات ، وتصرفات قد يدركها بما جبل

عليه من طبع ، وتصرفة هذا جزء من تسلط الله له ليدرك الإنسان أن وراء ذلك حكمة يحسن به أن يعمل فكره ليدركها . أما المركبة فهي موجهة من عمل إنساني ، لأنها لا قدرة فيها بالحركة دون فاعل ، وقد جعل الله الفاعل الإنسان بما أودع الله فيه من قدرات ومدارك .

ولعل من الحكمة التبصر والتمعن إذ في الحالين يعلم الإنسان فكره ، ويحرك عقله لإدراك بعض الأسباب ، التي ترشده إلى هذا العمل أو ذاك وتلافي خطره ..

لكن الإنسان يغفل عن نفسه أحياناً عند ما يرى تصرفات وأعمالاً ينكرها العقل السليم وتأباهما الطباع المسترشدة ، ويصر على المواصلة والعبث في تدمير نفسه ، والإضرار بمن حوله ، كما نرى من الحروب المهاكة ، وسلط القوي على الضعيف ، والسعى وراء أسلحة الدمار ، ونشر الأوبئة والجرائم ، بحدٍ ومعاندة . وإذا خلصنا من ذلك الأمر الذي تصارع فيه الأمم الكبرى .. وتنسى معه أن تعمل عقولها فيما ينفع ، أو توجه أفئتها لما تدعو إليه شريعة السماء أخذًا من قول الله سبحانه وتعالى : « يعلون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » [سورة الروم ، الآية : ٧] .

فإننا نجد الأمم الصغيرة والأفراد عندما يعطّلون عقولهم ، وعندما تعمى بصائرهم عن الاسترشاد بالحق . فإنهم يتحولون إلى فصيلة من الحيوانات الهائجة ، تصول وتتجول بدون هدف ، وتخرب وتعبث فساداً بدون رؤية ولا محاسبة . وهذه من الفتن البشرية ، التي يحار فيها عقل الحليم .

وما أكثر ما تطالعنا الصحف بنماذج من ذلك أخباراً وحوادث ، فقبل

عامين حصل بين دولتين أفريقيتين مذابح كبيرة ، وأحرقت منازل ، وسلبت أموال ، وانتهكت أعراض ، بدون سبب معقول . اللهم إلا ما قيل عن حزارات قبلية ، وتهويمات عرقية ، ولم تستطع السياسة كبح جماح تلك الثورة الهائجة . بل لم يتمكن العقلاه من تهدئة النزعات المائجة .. وما ذلك إلا أن العقول قد طاشت ، والنوازع لم يتمكن أحد من السيطرة عليها ، رغم الوساطات العربية ، والدولية ، ورغم التدخلات الإسلامية ، لكنها بعد فترة وبعد أن عملت ما عملت . هدأت كما تهدأ النار بعد نفاد الوقود ، بدون أن يكون للجهود المبذولة أي أثر .

وإذا التمسنا لهؤلاء عذراً ، فإن ما يسمى بالدول المتقدمة : حضارياً وعلمياً ومالياً يصيبها أكثر من ذلك . فقبل فترة هاجت العنصرية في لوس انجلوس عاصمة ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، هيجاناً غوغائياً . ولا يمرر لذلك إلا انفلات زمام العقل . وهيجان النزعات ، فلم تكن كما نقلت الأخبار الصوتية والمرئية . بين السود والبيض . لكنها كانت بين الطرفين المتداخلين ، مما يبرهن على أنها فتنة عارمة . ذهب ضحيتها أنفس كثيرة ، وأموال باهظة ، نهباً وحرقاً وتخريباً قدرها الاقتصاديون بألف الملايين من الدولارات ..

وهذه الأيام تطالعنا الأخبار عن ألمانيا بنازية جديدة ، يعتمد فيها مشعلو نارها حرق البيوت على سكانها من أصولهم غير ألمانية ، فكم نقلت وسائل الأخبار والإعلام الثلاث من فضائح ، وبشائع عن أسر بأكملها محترقة بالنيران . ناهيك بالأثاث والمتلكات .. مما أزعج كبار المسؤولين بألمانيا . وحفزهم لاتخاذ إجراء حازم في الأمر ، لكن لم تبد النتائج ولم تخف تلك الأفعال .

وما ذلك إلا أن الإنسان إذا أسلم لنفسه قيادها ، وأفلت زمام العقل منه

الذي به ينقاد إلى الخير . ويستسلم لرداع الضمير . أو لزاجر التوبخ .. فإنه يتجرد عن إنسانيته ، التي جاءت من الأنس والمرودة .. ويتحول إلى شراسة الحيوان المتوحش ، الذي يحركه حقد الشيطان .
إذا كان للحيوان مقود يلبي طبعه ، ويحد من جماحه ، فإن مقود وتعالي : « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » [سورة البقرة ، الآية : ٢٥١] .

وإذا فقد الوازع الديني ، وأمن الناس من متابعتهم بالحدود والزواجر . التي هي من عند الله . وليس من وضع البشر ، فإن مقاييس العقل تختل . وأعماله تتباين ، فلا يصبح للمعروف طابع متميز ، ولا للمنكر ظاهرة تخصمه .. كما نلمس في كثير من الأمور لدى شعوب الأرض ، التي لا تصدر في أمرها عن دين الإسلام ، ولا تعرف في تشريعها بما جاء من عند الله .

ولعل أغرب ما قرأت في ضياع العقل البشري ، وتحول الإنسان في تصرفاته وأعماله إلى تقليد للحيوان بل أشد وأنكى ، و أكثر دناءة وخشبة .

ما قرأت في جريدة « الجزيرة » عدد يوم الجمعة ١٤١٢/١٢/١٤ من خبر عجيب . يقف الإنسان أمامه حائراً يتمعن فحواه ، ويضحك من تصرفات أولئك البشر ، الذي لا يجد له الإنسان مدخلأً . رغم التوقعات والتحسibات لأي أمر ، وقد يفجعه شرّ البلية ما يضحك .

يقول ذلك الخبر الذي نقلته الجزيرة عن « واس » عمّت الفوضى مدينة لاجوس أكبر المدن النيجيرية أمس الأول للجمعة الثالث على التوالي .

بسبب أزمة وقود ، فجرت أثر مقتل سائق شاحنة برفسة من بقرة هائجة ، وذكر الراديو الحكومي : أن الوضع في جميع أنحاء لاجوس متواتر ، وتسوده الفوضى وذلك بعد أن تعطل الآلاف عن الانتقال إلى مقار أعمالهم ، وأقفل عدد كبير من البنوك والأعمال مبكراً عن مواعيد العمل الرسمية ، لنقص أعداد الموظفين .

وكان سائقو الشاحنات التي تنقل الوقود ، بدأوا إضراباً عن العمل . يوم الاثنين الماضي بعد أن أعلن زعماء اتحادهم العمال ، أن سائقاً قد قتل عند ما هاجت بقرة في سوق للاشية قرب المرفأ الرئيسي للتحميل النفطي .

وظهرت طوابير طويلة من السيارات عند محطات البنزين القليلة ، التي ظلت تعمل في المدينة التي يزيد عدد سكانها عن ستة ملايين نسمة ، واضطر سكان لاجوس الذين تمكناً من ركوب حافلات أو سيارات أجرة ، إلى دفع ما يصل إلى عشرة أمثال الرسوم العادية ..

ووردت أنباء عن حدوث أزمات في مدن جنوبية أخرى .. إلى هنا ينتهي هذا الخبر الغريب .. الذي أحده إضراباً جماعياً ، وفوضى في العاصمة بـ ملايينها السنة . وفي المدن الأخرى . وخسائر مالية كبيرة لأن بقرة هاجت فقتلت شخصاً قد يكون هو المعترض لها . وهذا الشخص قد ناله جزاؤه . لكن العجب من عقول أصحابه ونقابته العمالية في تصرفهم ، الذي أضر بالآخرين بدون سبب .. هل هو انتقام من البقرة .. وماذا يضير البقر كله في الدنيا بأسرها من هذا الإضرار لأن الوقود أصلاً لا يضره ولا يهتم به ؟ أو هو احتجاج على عالم البقر في تصرف واحدة منهم .. والبقر لا يعبأ بهذا الاحتجاج ولا يدرى عنه . أو رغبة في التعويض عن المقتول والبقر لا يعرف التعامل بالدرهم والدينار ، وقد

تكون الجانية قد لقيت حتفها .. فيكون القود - غير المكافئ - قد حصل ..

إن الإنسان حفأً عند ما يقرأ هذا الخبر يختار ، ويرى أن كثيراً من البشر عند ما يضيع عقله يكون أحطَّ قدرًا من البقر نفسه ، لأن البقر فيما بينه عند ما تحصل جنابة لا ينتقم بمثل هذا التصرف ، بل ولا بأقل من ذلك ، لأنَّه وهو بدون عقل يرتدع . أما الإنسان فهو أقلَّ قدرًا ، وأنزل مكانة من الحيوان إذا لم يستخدم عقله وهو في شئون الدين أشد وأنكرى من التصرفات الدنيوية . ألم يقل سبحانه وتعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفهون بها . ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ » أولئك هم الغافلون » [سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩] . وهذا من صرف الحواس في غير ما خلقها الله له ، نسأل الله السلامة والعافية .

السفى العبراء :

ذكر ابن قتيبة في كتابه « عيون الأخبار » أن رجلاً من تميم قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة ، فأتى بأعرابي قد كان معروفاً بالسرقة . فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ومن أعجبها : أنه كان لي بعير لا يسبق ، وكانت لي خيل لا تلحق ، فكنت لا أخرج فأرجع خائباً ، فخرجت يوماً فاحتشرت ضباء ، فعلقته على قتبي - وهو ما يسمى بالعامية المسامة الصغيرة - ثم مررت بخباء سري . وهو من أصحابه مروءة وشرف . وليس فيه إلا عجوز ، فقلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل . فلما أمسكت إذا بابل مائة ، وفيها شيخ عظيم البطن . متدين اللحم - أي كثيرة - ومعه عبد أسود وغدو - وهو

الذي يخدم ببطنه - وهي كلمة لا تزال دارجة في بعض أنحاء الجزيرة .

قال : فلما رأني رحْب بي . ثم قام إلى ناقة فاحتلبها . وناولني الإناء فشربت ما يشرب الرجل . فتناول الباقي فضرب به جبهته . ثم احتلب تسع نياق . فشرب ألبانهن . ثم نحر حواراً فطبوخه . ثم ألقى عظامه بيضاء . وحثا كومة من بطحاء وتوسدها . وغط غطيط البكر .

فقلت هذه والله الغنية . ثم قمت إلى فحل إبله . فخطمته ثم قرنته إلى بعيري . وصحت به فاتبعني الفحل . واتبعته الإبل . فسارط خلفي كأنها حبل ممدود . فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع . فكم أضرب بعيري بيدي مرة . وأقرعه برجلي أخرى . حتى طلع الفجر .

فأبصرت الثنية . فإذا عليها سواد . فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره . فقال : أضيقنها ؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا . فأخرج سهماً كأن نصلة لسان كلب . ثم قال : أبصر بين أذني الضبّ . ثم رماه فتصدع عظمه عن دماغه . وقال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيي الأول . قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به . فكأنما قدره بيده . ثم وضعه بأصبعه . ثم قال : أرأيت ؟ قلت : إني أحب أن استثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه . والرابع والله في بطنك .

ثم رماه فلم يخطئ العكوة . فقلت : أنزل آمنا ؟ قال : نعم . فنزلت . دفعت إليه خطام فحله . وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة . وأنا انتظر متى يرميني بسهم ينتظم قلبي . فلما تنهيت قال لي : أقبل . فأقبلت والله خوفاً من شره . لا طبعاً في خيره . فقال : أي هذا ما أحسبك جشمت الليلة ما جشمت إلا من حاجة . قلت : أجل . قال : فاقرن من هذه الإبل بعيرين وامض لطلبتك . قلت : أما والله حتى أخبرك عن نفسك

قبلًا ، ثم قلت : والله ما رأيت أعرابياً أشد ضرساً ، ولا أعدى رجلاً ، ولا أرمي يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسفى نفساً منك . [١٨٧/١] .

الصراع و موقفنا منه

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايع
الأستاذ بجامعة الأزهر وجامعة قطر

وهذا الخوف يفيد المسلمين من وجوه :

- ١- يجعل أعداءهم لا يعيّنون عدواً آخر عليهم ..
- ٢- يجعلهم يؤدون الالتزامات المطلوبة منهم ..
- ٣- ربما حملهم ذلك على الدخول في الإسلام والإيمان بالله ورسوله .

والخلاصة : أن تكثير آلات الجهاد وأدواتها كما يرهب الأعداء الذين نعلم أنهم أعداء ، يرهب كذلك الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء « وآخرين من دونهم لا تعلموهم الله يعلمهم » .. فالاستعداد للحرب يرهبهم جميعاً ، وينعهم من الإقدام على القتال .. وهذا ما يسمى في العصر الحديث « السلام المسلح » [١] .

ولعل الباحث يعرف أن إعداد القوة في الإسلام ، والتي جاء الأمر بها ، ليس المقصود بها إعداد قوة مماثلة لقوة الأعداء .. لأن فريضة الجهاد في الإسلام لا تنتظر حتى يتم إعداد قوة مماثلة لقوة العدو ، لأن ذلك قد يطول .. ولو انتظر المسلمون في غزوة بدر الكبرى ، حتى تتكافأ قوتهم .

وقوة عدوهم ، ما قامت لإسلام المؤمنين قائمة .. إنما القلة المؤمنة بالله ، والعزّة بعقيدتها ، اعتزازاً يفوق كل اعتبار ، استعدت بقدر ما استطاعت ، ثم خاضت المعركة فكان فيها الفرقان ..

السليك بن السلكة :
و شبيه بوقائع القصة السابقة ، ما رواه الميداني في الأمثال عن أشهر صعاليك العرب ، و اسرعها عدواً السليك بن السلالة ، فقد قال : زعموا عنه أنه خرج يريد أن يغير في ناس من أصحاب الصعاليك ، فمر علىبني شيبان في ربيع ، والناس مخصوصون في عشية فيها ضباب ومطر ، فإذا هو ببيت قد انفرد عن البيوت عظيم وقد أمسى .

قال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتي هذا البيت ، فلعلي أصيб خيراً ، أو آتكم بطعم ، فقالوا له : افعل .

فانطلق إليه ، وجن الليل عليه ، فإذا البيت بيت يزيد الشيباني ، وإذا الشيخ وأمراته بفناء البيت ، فاحتال السليك حتى دخل البيت من مؤخره ، فلم يلبث أن أراح ابن الشيخ بابه في الليل ، فلما رأاه الشيخ غضب ، وقال : هلا كنت عشيتها ساعة من الليل ، فقال ابنه : إنها أبت العشاء ،

قال يزيد : إن العاشية تهيج الآية .
ثم نفخ الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ، وتبعها الشيخ ، حتى مالت إلى أدني روضة ، فرتعت فيها ، وقعد الشيخ عندها يتغشى ، وقد خنس وجهه في ثوبه من البرد .

وتبعه السليك حين رأه انطلق ، فلما رأاه متنهجاً وخانساً في ثوبه ، ضربه من ورائه بالسيف ، فأطاح رأسه ، واطرد إبله .
وبقي أصحاب السليك ، وقد ساء ظنهم ، وخافوا عليه ، فإذا به يطرد الإبل ، فأطروها معه ولاذوا بالفرار . [٤١٧/١] .

والآية الكريمة التي أمرت بإعداد القوة ، فيها كلمة « ترهبون » وقد جاءت بصيغة الفعل المضارع ، وتشير إلى الغرض من إعداد القوة ، وهو إلقاء الرهبة في قلوب أعداء الله ، وأعداء المسلمين ، المعلومين منهم المسلمين والجهولين .. وكم للإسلام والمسلمين من أعداء ، لو يفقه المسلمون ..

والآية الكريمة « وأعدوا » على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن ، كإعداد المادي ، والإداري ، والفنى ، والمالي ، والتخطيط ، والدراسة الموضوعية لقتضيات الأحوال .. ولقد فرض الإسلام على الأمة الإسلامية الإعداد بكل ما تشمله كلة « إعداد » من معنى ، وأن تبذل الأمة فيه أقصى الجهد الصادقة ، ولم تغفل الآية الإعداد وقت السلم ، ووقف القتال ، حتى تكون الجيوش الإسلامية أشد فعالية ، وأكثر قدرة قتالية ..

والقتال في الإسلام مجرد من كل غاية أرضية ، ومن دافع شخصي ، ليتم خالصاً للتحقيق كلة الله ، وإقامة العدل ، ابتعاد رضوان الله (٢) .

قال تعالى : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ » [سورة آل عمران ، الآية : ١٤٢] .

والإسلام في هذه الآية الكريمة ، يربط هذه الغاية المرجوة - دخول الجنة - بالسلوك العلني في الحياة الدنيوية ، بحيث تصبح المقياس والميزان الذي يدل على صحة الارتباط بالدين نفسه .. وقال تعالى : « قاتلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيُخْزِهِمْ وَيُنَصِّرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشَفِّعُ صَدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ » . ويدهب غيظ قلوبهم ويتوسلون إلى الله على من يشاء والله عالم

حكيم . أم حسبتم أن تتركوا ولا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخدوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ولهم الله خبير بما تعملون » (٢) .

كلمة « بأيديكم » في الآية تنفي تماماً معاني التواكل ، والاهتمال ، والكسل ، وتوكيد خط الجهد البشري في المواجهة لأهل الظلم والباطل ، كما تفيد المسلمين أنه لاأمل لهم إلا في أنفسهم . وكلمة « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَرْكُوا » في الآية . فيها من الدلالة الواضحة على أنه لا يجوز أن يتصور أهل الإيمان قيام الحياة ونظامها ، على الخلو من معاناة jihad . والصبر ، والبذل ، والتضحية . وإن أي تصور يجنج إلى تجربة الحياة من غير هذه الخصائص ، وهم باطل لا بد من محاربته حتى يكون المؤمن مستعداً استعداداً واقعياً . يتماشى مع طبيعة الحياة (٤) .

والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يكون حملة الإسلام ، وحملة الدعوة الإسلامية من الجامدين الكسالى الذين ينتظرون النصر لجرد أنهم مسلمو ..

والأمة الإسلامية في أشد الحاجة إلى استيقاظ كل الخلايا فيها ، واحتشاد كل القوى . وتتوفر كل استعداد ، وتجميع كل الطاقات ، كي يتم النمو . ويكمel البناء ، لأن تحركات الأعداء لا تتوقف ، وتكالب الأعداء . يزداد شراسة وسعراً ، ولا جرم فإن الحق الأعزل ضائع (٥) .

ولما كانت ظاهرة الصراع تتعلق باستمرار ذاتها ، كان للاستعداد لها ، والاعتراف بها . المكان المقدم في الإسلام .. ولذلك جاءت مقاييس التفاضل بين الأعمال ، لتضع jihad في قلب المؤمن ونفسه . في المكان المتفوق على غيره من سائر الأعمال .. قال تعالى : « لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ

الإسلامية أن تهين نفسها بصفة دائمة ومستمرة إلى ضرورة الاستعداد .. حيث إن هذا الاستعداد والإعداد ، جزء من العقيدة ، وركن من العبادة ، وقد ربط الله بتحقيقه سعادة المسلمين في الدنيا ونجاتهم في الآخرة ، وإن الأمة الإسلامية تملك من الطاقات البشرية ، والعقول المفكرة ، والإمكانيات المادية ، والواقع الاستراتيجية ، ما يمكنها من أن تكون أعظم قوة في الأرض .. لا للتضليل في عتو وتجبر ، ولكن لتحفظ نفسها ومجتمعاتها ، وتقيم العدل بين الناس ، وتنشر الأمن والاطمئنان ..

.....

المصادر والمراجع:

- (١) الشيخ المراغي ، تفسير القرآن الكريم : ج ١ / ص ٢٥-٢٦ ، ط. القاهرة .
- (٢) د/أحمد السايع ، أضواء على الحضارة الإسلامية : ص ١٨٢ ، ط. دار اللواء ، الرياض ، المملكة السعودية .
- (٣) وزارة الأوقاف ، نشرة رقم ٨٨ من سلسلة الدين والحياة : ص ٨ ، ط. وزارة الأوقاف .
- (٤) د/أحمد السايع ، أضواء على الحضارة الإسلامية : ص ١٨٥ .
- (٥-٦) المنذري « الترغيب والترهيب » : ج ٢ / ص ٢٥٢ ، والحديث رواه مسلم وغيره .

البعث الإسلامي من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلّا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا . درجات منه ومفردة ورحمة وكان الله غفورًا رحيمًا ٤ [سورة النساء ، الآياتان : ٩٥-٩٦] .

والحق أن الذي يستعد استعداداً صادقاً للبذل والتضحية والجهاد ، تسهل عليه سائر العبادات .. لذلك فإن المؤمن في عملية الجهاد أو الاستعداد لها يتجرد عن كل شيء ، لله سبحانه وتعالى . وكأنه عقد مع الله صفة أعطى فيها ، وبها ، لله كل شيء ، ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض ، قال تعالى : « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى به عهده من الله » . فاستبشروا ببيعكم

الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ٤ [سورة التوبه ، الآية : ١١١] . وقال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » [سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩] .

وهذا يعني أن أسلوب الجهاد ضرورة للحياة الكريمة ، وأي تقصير في التهيئة والاستعداد له . يعرض صاحبه لنقصان في الإيمان ، وفساد في العقيدة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « من مات ولم يغزو نفسه (بالغزو) مات على شعبنة من النفاق » (٦) . وقد روى الطبراني عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما ترك قوم الجهاد إلا عهم الله بالعذاب » (٧) .

والخلاصة : التي نفهمها من النهاج القرآني والنبيوي . أخذنا من الآيات والأحاديث التي جاءت في ميدان الجهاد والقتال .. أن واجب الأمة

الفقه الإسلامي:

«سريان الأحكام من حيث الزمان والمكان

في الفقه الإسلامي»

(الحلقة الرابعة)

بقلم : أ. د. محمد الدسوقي

أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول كلية الشريعة - جامعة قطر

سريان الأحكام في دار الإسلام: قبل الحديث عن سريان الأحكام في دار الإسلام ينبغي بيان أن هذه الدار تعتبر وطن المسلمين جميعاً وكذلك الذميين ، ومن هنا يلتزم المسلمين كافة في كل بقاع الأرض بالدفاع عن أي جزء من وطنهم الكبير الذي يتحدد بوجود المسلمين فيه في أي بقعة من الأرض (١).

والأصل المجمع عليه أنه لا يعترف إلا بسيادة واحدة في دار الإسلام وهي سيادة التشريع ، وإن تعددت السيادات التنفيذية ، لأنه لا مانع إسلامياً من تعدد الحكومات في دار الإسلام ما دام دستور كل حكومة لا يخالف نصاً من القرآن والسنة النبوية الشريفة ، ويقوم على أساس الشورى ، ولا يتعارض مع القواعد العامة للتشريع ، وألا يؤدي إلى اضعاف القوة الإسلامية . وإنما يحميها وينميها ، لأن الفقهاء حينما أفتوا بجواز تعدد الإمامة أو تعدد الدول لاحظوا أن تباعد الأقطار قد لا يتبع المجال بصورة عملية (٢) للقيام بشئون كل إقليم على نحو سليم .

(١) انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي : ص / ١٨٠ ، ط .

(٢) انظر المراجع السابق : ص / ١٨١ .

سريان الأحكام من حيث الزمان والمكان فيه ..
إذا كانت الإمامة واحدة . وأن التعدد يكفل فهم حاجات كل إقليم وتدبير شئونه على نحو أفضل . فتعدد الحكومات أو الدول لا بأس به شرعاً ما دام وسيلة للتعاون والتكافل ، وبناء القوة ، واستغلال كل الطاقات والموارد استغلاً أمثل . ليصب كل ذلك نحو هدف فرد وغاية واحدة .

وقد أومأ آنفاً إلى أن دار الإسلام هي وطن المسلمين والذميين . وهؤلاء جميعاً يحملون جنسية الدولة الإسلامية . المسلمين بحكم عقيدتهم . والذميين بحكم عقد الذمة . واعتبارهم رعاية إسلامية . وقد يفدي على هذه الدار من لا يحمل جنسيتها فيقيم بها مدة محددة كان الفقهاء قد يرون أنها لا تزيد عن سنة . ولكن هذا التحديد ليس ملزماً . ومرد الأمر في تحديد مدة الإقامة إلى الأعراف الدولية . وما يراهولي الأمر من مصلحة للأمة . وهؤلاء الوافدون يطلق عليهم فقهياً المستأمينون . فدار الإسلام إذن تضم المسلمين والذميين والمستأمينين في بعض الأحيان .

أما المسلمين فإن سريان الأحكام عليهم في دار الإسلام أمر لا مجال للقول فيه ، أو الخلاف عليه . فكل مسلم أهل للتوكيل تسرى عليه أحكام الشريعة مهما يكن الإقليم الذي يستوطنه . فدار الإسلام واحدة . وإن تعددت الحكومات . ولو لولي الأمر حمل من يفرط في تلك الأحكام على القيام بها . وتنفيذ الحدود والتعزيزات فيمن يخرج عليها . وليس هذا لوناً من الإكراه في الدين . فإيمان عقيدة وعمل . والمسلم الذي ارتضى الإسلام ديناً يفرض عليه إيمانه أن يلتزم في أقواله وأفعاله بما فرضه الإسلام من آداب وأحكام . وليس له - بدعوى حرية العقيدة - أن يغفل أحكام الشريعة كلها أو بعضها . وفرض على الجماعة الإسلامية مثلاً في ولி الأمر أو من ينوب عنه إرشاد من يفرط في أحكام الله بالحكمة والوعظة الحسنة . فإن لم تجد الحكمة والوعظة كان الجبر وسيلة لا مناص منها

لتطبيق أحكام الله ، حتى لا تكون هناك فتنه ، وحتى لا يدخل في الإسلام من يتخرجه ستار الللاضلال والإفساد . وفي موقف أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - من محاربة المرتدين . وكان من بينهم من أبي إخراج زكاة ماله ، وكذلك في موقف عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - من جبلة بن الأبيه وأعداد جيش للعودة به لما فر و من معه ليلا حتى لا ينفذ فيه حكم القصاص دليل بين على مدى مسئولية ولی الأمر في تطبيق التشريع والزمام الناس به . مهما يكابد في سبيل ذلك من مشقات .

هذا بایجاز وإجمال ما يتعلق بسريان الأحكام في دار الإسلام بالنسبة لل المسلمين ، أما غيرهم دون نظر إلى عقائدهم (١) . أي سواء أكانوا كتابيين أم لا ، فكما أسلفت إما أن يكونوا أهل ذمة ، أو مستأمينين . وأهل الذمة هم الذين يقيمون مع المسلمين إقامة دائمة بعقد يسمى عقد الإقامة بدار الإسلام ، وبمقتضاه يحصل الذمي على جنسية الدولة الإسلامية .

وإذا كان العرف القانوني المعاصر ينظم وسائل الحصول على اكتساب الجنسية أو فقدتها فإن الشريعة لا تعارض هذا العرف ، بل تحترمه ما دام لا يتضمن ما يتناقض مع القواعد الشرعية والصالح العام للأمة .

ولأن الذمي بذلك العقد يصبح رعية إسلامية ، أو مواطنا يحمل جنسية الدولة الإسلامية ويتمتع بكل حقوق المواطن في هذه الدولة فإن

(١) انظر أحكام الذميين والمستأمينين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريه زيدان : ص/٢٥-٢٩ ، الطبعة الثانية .

عليه في مقابل ذلك بعض الواجبات والالتزامات . ويجمعها الشيطان التاليان :

٦٨١٩
١١٣٩٠٢

أولهما : أن يتلزم الذميون بعطاء التكليفات المالية على القادرين . لكي يسهموا في بناء الدولة . ويشتركوا في تكوين ميزانها المالي . ثانيهما : أن يتزموا أحكام الإسلام في المعاملات المالية . وفي الخصوص للعقوبات الإسلامية . ليكون لهم مال المسلمين وعليهم ما على المسلمين (١) . قال الإمام السرخيسي : الذي متزم أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات (٢) .

وجاء في مقدمات ابن رشد الجد : ولا يجوز بين المسلم والذمي في التعامل إلا ما يجوز بين المسلمين (٢) .

وقال الجصاص في كتاب الأحكام : قال أصحابنا : أهل الذمة يحملون في البيوع والمواريث وسائر العقود على أحكام الإسلام كالمسلمين إلا في بيع الخمر والخنزير فإن ذلك جائز فيما بينهم . لأنهم مقررون على أن يكون مالا لهم . ولو لم يجز تباعهم وتصرفهم فيها والانتفاع بها لخرجت من أن تكون مالا لهم ، ولا وجب على مستهلكها عليهم ضمان (٤) .

وفسر الإمام الشافعي الصفار في قوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يدتهم صاغرون » بإجراء أحكام الإسلام على من تؤخذ منهم الجزية (٥) .

(١) العلاقات الدولية في الإسلام : ص/٦٢ . ومقدمة تحقيق كتاب شرح السير الكبير : ص/١٠٢ . ط. الجامعة القاهرة .

(٢) المبسوط : ج/١٠ . ص/٨٤ . ط. السعادة .

(٣) مقدمات ابن رشد : ج/٢ . ص/٢٦٢ .

(٤) انظر كتاب إرشاد الأمة إلى أحكام الحكم بين أهل الذمة للشيخ نجيب الطيباني : ص/٢ .

(٥) الأم : ج/٤ . ص/١٢٠ . ط. بولاق .

وقال الإمام ابن حزم : ويحكم على اليهود والنصارى والمجوس بحكم أهل الإسلام في كل شيء رضوا أم سخطوا . أتونا أم لم يأتونا . ولا يحل ردهم إلى حكم دينهم ولا إلى حكامهم أصلا .

ثم قال : إن الرسول لم يلزم هؤلاء بالصلوة والحج والزكاة والصوم والجهاد فخرجت هذه العبادات . وبقي الحكم عليهم بحكم الإسلام (١) .

وأهل الذمة إذن يخضعون للأحكام الإسلامية في الحدود والمعاملات وأهل الذمة ، ولا يتعارض هذا مع الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم . لأن المالية ، وليست حرية الدين ، فقد أصبحوا جزءا من الدولة أهل الذمة حين رضوا بالإقامة مع المسلمين . ومن شأن هذا الإسلامية ، ولهم ما للMuslimين من حقوق الرعاية والحماية . ومن شأن هذا أن تجري المعاملات بينهم وبين المسلمين ، وليس من العقول أن ينحاز الذين يعيشون إلى محلة يتعاملون فيها دون سائر الناس الذين يجاورونهم ، أو يعيشون معهم ، وإن كانوا دولة في داخل الدولة ، وهو ما لا يتفق مع الاندماج الذي قبلته الدولة بالنسبة لهم ، فالذمي مادام قد قبل أن يكون جزءا من الدولة وجب أن يعتبر نفسه جزءا من كيانها فيما يتعلق بالنظام المالي والاقتصادي والاجتماعي ، ومن ثم كانت العقوبات الإسلامية واجبة التطبيق عليه (٢) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الذمي وإن كان مواطنا يحمل جنسية الدولة الإسلامية - لا يطالب بالجهاد مع المسلمين ، ولكنه ليس محظورا عليه ، أو من نوعا منه ، فهو أمر اختياري بالنسبة له ، كما أن لولي الأمر الحق

البعث الإسلامي سريان الأحكام من حيث الزمان والمكان فيه ..

في أن يشرك الظالمين في صفوف الجيش الإسلامي إذ رأى في ذلك مصلحة للأمة . إن تطبيق تلك الأحكام على أهل الذمة أمر طبيعي . ولا يتعارض مع الحرية الدينية في شيء . فضلاً عما فيه من تأكيد لمعنى سيادة الدولة على جميع رعاياها .

وأما سوى ما تقدم من الأحكام فأهل الذمة لا يخضعون لها . ولا يسألون عنها مثل الشعائر الدينية الخاصة بهم . وأحكام النكاح فيما بينهم . غير أنهم إذا طلبوا من القاضي المسلم أن يحكم بينهم أجرى عليهم أحكام الشريعة الإسلامية دون غيرها .

وللفقهاء آراء مختلفة حول موقف القاضي إذا ما طلب منه أحد الخصمين دون الآخر . وأيضاً حول بعض المسائل المستثناء من قاعدة إجراء أحكام الإسلام على أهل الذمة فيما يديرون به إذا حكم بينهم القاضي المسلم (١) .

وأما المستأمنون فهم الذين يدخلون البلاد الإسلامية على غير نية الإقامة المستمرة فيها . ويسمح لهم بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها . فالقاعدة هي عدم الإقامة الدائمة ، وإن تحول المستأمن إلى ذمى وأصبح رعية إسلامية .

والإسلام وهو دين الإباء الإنساني ، ودين العدل والحرية والسلام عامل المستأمن الوافد على دياره معاملة كريمة لا تعرفها القوانين الوضعية . فهو ما دام محافظا على عقد الأمان ، أو شروط الإنذن بالإقامة المحددة في ديار الإسلام له الحرية الكاملة في التنقل ومبشرة نشاطه الذي وفده من

(١) انظر كتاب إرشاد الأمة : ص / ٤ وما بعدها . والقانون الدولي الخاص للدكتور علي الزياني : ص / ١٨٠ - ١٨١ .

(٢) انظر المحلى : ج / ٩ . ص / ٤٢٥ - ٤٢٦ . ط . المنيرية .

(٣) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص / ٦٢ .

اعتقال رعايا العدو الموجودين في إقليمها بمجرد قيام الحرب . وتحجزهم كأسرى حرب . كما كانت تصادر أموالهم . ثم جنحت تلك التشريعات إلى منع أسر رعايا العدو . وكذلك إلى منع مصادرة أموالهم . ولكن ظل القانون الدولي يجيز طرد رعايا العدو من إقليم الدولة بمجرد نشوب الحرب . وإن لم تكن هناك جريمة منهم (١) .

والفقه الإسلامي وهو يعبر عن روح التشريع ومقاصده أعدل من تلك التشريعات . فهو لا يجيز طرد رعايا العدو من إقليم الدولة بمجرد نشوب الحرب ما داموا يحافظون على شروط الأمان . أو قواعد دخول الأجانب إلى دار الإسلام ، كذلك لا يجيز الاستيلاء على أموالهم أو تصفيتها والتصرف فيها ، وإنما يدعو إلى حمايتها ، وتسليمها إلى ذويها . والمستأمن الذي يتمتع بحريته في التنقل في دار الإسلام . وممارسة نشاطه الذي وفده من أجله ، كما يتمتع بحرمة ماله يخضع لأحكام الشريعة فيما يتعلق بالمعاملات المالية . سواء جرت هذه المعاملات بينه وبين مسلم أو بينه وبين ذمي ، أو مستأمن مثله ، وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء . أما فيما يتعلق بالعقوبات فيرى الإمام الأوزاعي وجوب إقامة الحدود كلها على المستأمن (٢) .

ويقول الإمام الشافعي : « إذا خرج أهل دار الحرب إلى بلاد الإسلام بأمان فأصابوا حدوداً فالحدود عليهم وجهان : فما كان منها لله لا حق فيه للأدميين فيكون لهم عفوه ، و إذا كذاب شهود شهدوا لهم به ، فهو معطل لأن لا حق فيه لسلم ، إنما هو لله ، ولكن يقال لهم : لم تؤمنوا على هذا فإن كفتم وإلا ردتنا عليكم الأمان ، وألحقناكم بأمنكم ، فإن فعلوا

(١) انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي : ص / ٥٠٧ - ٥١٠ .

(٢) انظر الأم : ج ٧ ، ص / ٢٢٥ .

البعث الإسلامي
أجله ، كالتجارة أو الدراسة أو السياحة وهو آمن على نفسه وماله حتى ولو كان ينتمي إلى دولة نشب القتال بينها وبين المسلمين .
ويذهب جمهور الفقهاء إلى أكثر من هذا فيرون أن مال المستأمن الذي اكتسبه في دار الإسلام يبقى على ملكه ، ولا تزول عنه ملكيته ولو عاد

إلى دار الحرب وقاتل المسلمين (١) .

قال ابن قدامة الحنبل في المغني : « وإذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله مسلاً أو ذمياً أو أقرضهما إيه ، ثم عاد إلى دار الحرب ، نظرنا فإن دخل تاجراً أو رسولاً أو متذهاً أو لحاجة يقضيها ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانه في نفسه وماله ، لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام فأشبه الذمي لذلك ، وإن دخل (أي دار الحرب) مستوطناً بطل الأمان في نفسه وبقي في ماله ، لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان ثبت الأمان لماله الذي معه ، فإذا بطل الأمان في نفسه بدخوله دار الحرب بقي في ماله ، لاختصاص البطل بنفسه فيختص البطلان به (٢) .
فمال المستأمن بحكم الأمان مصون ، ولو ترك المستأمن دار الإسلام وحارب المسلمين ، ويترتب على هذا أن مال المستأمن يبقى على ملكه ولو عاد إلى دار الحرب ، ونوى الاستيطان بها ، وأنه إذا مات أو قتل في دار الإسلام أو دار الحرب فماله وديته لورثته ، فإذا لم يكن له وارث صار المال فيئاً لبيت المال .

وإذا كان هذا هو موقف الفقه الإسلامي من المستأمن وماله فإن التشريعات الدولية الوضعية كانت قبل القرن الثامن عشر تبيع للدول

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص / ٦٨ .

(٢) المغني : ج ١٠ ، ص / ٤٢٧ . ط. النار .

فالمستأمن في نظر الإمام أبي حنيفة يجب أن يعامل معاملة لا تنفره من الدخول في دار الإسلام، وإنما ترغبه في دخولها، ليرى من المسلمين قوله عملاً محسن الإسلام فيسلم، ولكن الأمان الذي منع له يفرض عليه احترام حقوق العباد فإن اقترف أمراً يمس هذه الحقوق طبقت عليه أحكام الشريعة الإسلامية، وأما حقوق الله فلا تلزم، لأنه لم يصلح ولم تكن له ذمة، ولأن العقوبات الدينية أساسها الولاية الكاملة، وليس للحاكم المسلم ولاية كاملة على المستأمن، إذ أن إقامته لدة معلومة (١).

والرأي الذي أخذ به جمهور الفقهاء هو عدم التفريق بين حقوق الله وحقوق العباد ، وأن المستأمن يخضع لأحكام الشريعة في جميع الحدود ، وهذا الرأي أكثر اتساقاً مع المبادئ الإسلامية ، لأنَّه يتافق مع ما ينبغي أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد ، ومن كمال السيادة على كلٍّ من يقيم في ربوعها (٢) .

وبهذا يكون المستأمن كالذمى في وجوب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليه فيما يتعلق بالمعاملات المالية والحدود . ولا فرق بينهما إلا أن الذمى أمانه مؤبد ، والمستأمن أمانه مؤقت (٢) . وبديهي أن له حريته الكاملة فيما يدين به دون أن يكون في هذا فتنة للسلميين .

ومن المستأمين طائفة تتمتع ببعض المزايا الخاصة التي تكفل لها القيام بمهمتها التي وفدت من أجلها . وهي طائفة المثلين السياسيين أو ما كان يطلق عليهم قديماً الرسل .

هذه الطائفة أعطاها القانون الدولي العاشر حصانة في أمور ثلاثة :
أولها : الحصانة لشخص المثل فلا يتعرض له ولا يتعدى عليه ، حتى
يستطيع أداء عمله السياسي من غير حرج ، ولا يتعرض لسكنه ، أو
أمتعته الشخصية .

ثانيها : حصانة تتعلق بالمال ، فيعفى من الضرائب والرسوم في حدود معينة .

ثالثاً : الحصانة القضائية . ومن شأنها حماية البعث السياسي من

(٢-١) العلاقات الدولية في الإسلام : ص ٧١ .

(٢) انظر عبد القادر عودة، المحمد السابق: ص ٢٨٥.

البعث الإسلامي
الحكوم بعأمنهم ، ونقضوا الأمان بينهم وبينهم ، وكان ينبغي للإمام
إذا أمنهم أن لا يؤمنهم حتى يعلمهم أنهم إن أصابوا حداً أقامه عليهم ، وما
كان من حق للأدميين أقيم عليهم ، ألا ترى أنهم لو قتلوا قتلناهم فإذا
كنا مجتمعين على أن نقيد منهم حد القتل ، لأنه للأدميين كان علينا أن

نأخذ منهم كل ما كان من حقوق الأدميين
وإمام الشافعي وإن فرق في هذا النص بين حق الله وحق الأدمي يدل
اهتمامه بوجوب إعلام المستأمين بمراعاة حقوق الأمان أو شروطه ، وما
يجب على ولی الأمر أن يفعله مع المستأمينين قبل دخولهم بلاد الإسلام
وهو عدم اعطائهم الأمان إلا بعد أن يعلّمهم بأنهم إن أصابوا أحداً أقامه
عليهم - على أن الشافعي يميل إلى وجوب إقامة الحدود كلها على
المستأمين .

المستأمن . ويتحدث الزيلعي عن موقف الإمام أبي حنيفة من تطبيق الحدود على المستأمن فيقول : والأصل عند أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - أنه لا يقام على المستأمن والمستأمنة شيء من الحدود إلا حد القذف ، لأن الإقامة تبني على الولاية . والولاية تبني على الالتزام ، إذ لو الزمانة حكمنا بدون التزام أدى إلى تنفيذه من دارنا ، وقد ندبرنا إلى معاملته بتحمله على الدخول في دارنا ليرى محسن الإسلام فيسلم ، وهو بالأمار التزم حقوق العباد ، لأن دخوله لقضاء حاجة وهي تحصل بذلك فالتز أن ينصفه كما ينصف وأن لا يؤذى أحداً كما يؤذى .

وأما حقوق الله فلا تلزم ، لأنه لم يلتزمها ، ألا ترى أنه لم تضرب عليه
الجزية ، ولم يمنع من رجوعه إلى دار الحرب ؟ (٢) .

(١) الحمد لله رب العالمين : ص ٢٢٧ . (٢) تبيان الحقائق : ج ٢ / ص ١٨٢

الملحقات الجنائية . ومن الملحقات المدنية الخاصة بعمله الرسمي (١) .
فهل هذه الأمور الثلاثة التي أعطاها القانون الدولي المعاصر للمثليين
السياسيين يقبلها الفقه الإسلامي أو يرفضها ؟

إن تقدير العرف في منهج البحث الفقهي يقتضي بأن كل ما يتعارف
عليه المجتمع الدولي من وسائل التعاون والتآلف لا يرفضها الفقه ما لم
يعارض نصاً أو قاعدة . فالحصانة الشخصية والمالية ما دامت تقوم على
أساس العاملة بالمثل ولا يوجد من أحكام الشريعة ما يعارضها فإن
تطبيقها على المثليين السياسيين لا حرج فيه . ولكن الحصانة القضائية
ليست كالحصانة الشخصية والمالية . فكل من يرتكب ما يجب حدا في
دار الإسلام ينبغي أن يعاقب وفقاً للأحكام الشرعية . ولا يجوز أن يترك
ليحاكم على أساس قانون آخر ، ففي هذا تعطيل لأحكام الله في أرض
الإسلام .

أما الذين يرتكبون ما يجب عقوبة تعزيرية . وهي العقوبة غير
المقدرة في الكتاب والسنة ، ويتولى ولـي الأمر تقدير العقاب فيها ، أو
يترك تقديرها للقاضي المختص . فهذه في نظر بعض المعاصرـين يصح أن
تدخل في ضمن حصانة المثليين السياسيين وحجته أن تقديرها من حق
ولي الأمر فيجوز له أن يدع العقاب عليها لدولة المثل أو الرسول . ولكن
ما الذي يضمن أن تطبق دولة المثل هذه العقوبة . وهل تطبيقها سيكون
وفقاً لأحكام الله . إن التفاوت في القوانين ، والتفاوت في النظر إلى
أنواع الجرائم والعقوبات ، يمكن أن يجعل ما هو جريمة في دار الإسلام
ليس جريمة في غير هذه الدار . وأن يكون العقاب مختلفاً في حالة وحدة
الجريمة في الفقه الإسلامي والقوانين الوضعية . ولهذا أرجح الرأي الذي
يذهب إلى أن الحصانة القضائية لا ينبغي أن تكون على حساب شرع الله ،
وأن العرف الدولي لا ينبغي أن يكون حاكماً على هذا الشرع . وإنما يجب
أن يكون محكماً به (٢) .

ولاية التحكيم في الإسلام

بقم : سعادة الدكتور هوكـت محمد عـليـان

تعريف التحكيم :

التحكـيم لـغـة : مصدر لـلـفـعل حـكـم . يـقال حـاكـمه إـلـى الحـاكـم رـعـاه .
وـحـكمـه فيـ الأـمـر تحـكـيـماً أـمـرهـ أنـ يـحـكـم فـحـكـم . وـالـأـسـمـ الأـحـكـومـةـ
وـالـحـكـومـةـ . وـيـقال حـكـمـتـ الرـجـل بـعـنـي فـوـضـتـ الـحـكـمـ إـلـيـهـ (١) .
وـاصـطـلـاحـاً : اـخـتـيـارـ الخـصـمـينـ شـخـصـاًـ غـيرـ قـاضـ لـلـحـكـمـ بـيـنـهـماـ فـيـماـ
تـنـازـعـاـ فـيـهـ (٢) .

الفرض من التحكيم :

تعـملـ الشـرـيـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ دـائـئـاـ عـلـىـ استـئـصالـ الـخـصـومـاتـ . وـقـطـعـ دـاـبـرـ
الـمـنـازـعـاتـ بـيـنـ النـاسـ . وـلـاـ كـانـ الـقـضاـءـ هـوـ الـذـيـ يـتـولـىـ هـذـهـ الـأـمـرـ . فـإـنـ
قـدـ لـاـ يـتـوـفـرـ وـجـودـ الـقـاضـيـ فـيـ كـلـ مـجـتمـعـ وـفـيـ كـلـ مـكـانـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـحـتـاجـ
فـيـهـ النـاسـ إـلـىـ مـيـافـصـلـ بـيـنـهـمـ فـيـ مـنـازـعـاتـهـمـ . ثـمـ إـنـ هـنـاكـ بـعـضـ الـمـسـائلـ
لـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ نـظـرـ الـقـاضـيـ . فـلـكـيـ لـاـ يـقـعـ النـاسـ فـيـ حـرـجـ مـشـرـعـ التـحـكـيمـ .
تـسـهـيـلاًـ وـتـيـسـيرـاًـ لـلـحـلـ مـشاـكـلـ النـاسـ .

رـلـيـلـ مـسـرـوـعـةـ التـحـكـيمـ :

أـوـلـاـ : مـنـ الـكـتـابـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : « فـلاـ وـرـبـكـ لـاـ يـؤـمـنـونـ حـتـىـ يـحـكـمـونـ
فـيـمـاـ شـجـرـ بـيـنـهـمـ ثـمـ لـاـ يـجـدـواـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ حـرـجاـ مـاـ قـضـيـتـ وـيـسـلـمـواـ
تـسـلـيـمـاـ » (٢) .

فـقـدـ نـفـيـ اللـهـ تـعـالـىـ الـإـيمـانـ . أـوـ أـقـسـمـ عـلـىـ نـفـيـ الـإـيمـانـ عـنـ مـنـ لـاـ

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام : ص ٧٢ .

(٢) انظر المصدر السابق : ص ٧٢ .

يطلبون منك أن تحكم بينهم فيما حديث من خلاف ويسلموا بهذا الحكم . وقوله تعالى أيضًا : « وإن خفت شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهلها وحكمًا من أهلها » (٤) .

فقد أخبر سبحانه وتعالى ولاة الأمور بأنه إذا تعذر الوفاق بين الزوجين ، وأصبح الفراغ متوقعاً فيتعين على ولاة الأمور أن يرسلوا حكمين ، أحدهما من أهل الزوج والآخر من أهل الزوجة لينظرا ما هو الصالح بينهما وأدعى لدوام العشرة فيعملا على تحقيقه .

ثانيًا : من السنة ، وهو كثير ، ومنه نزول رسول الله - ﷺ - على حكم سعد في بني قريظة ، وأن عمر وأبيا تحاكموا إلى زيد بن ثابت ، وعثمان وطلحة عند جبیر بن مطعم (٥) .

ثالثًا : الإجماع ، فقد أجمع الصحابة على جواز التحكيم من غير نكير (٦) .

شروط الحكم :

يشترط في الحكم أن يكون رجلاً غير خصم عالماً مسلماً رشيداً ، فإن كان الحكم جاهلاً بالأحكام وأصدر حكمه من غير مشاوره للعلماء فلا ينفذ حكمه ، فإن شاورهم وحكم بما أشاروا به عليه نفذ (٧) .

أما عدم نفاذ حكم الجاهل الذي لم يشاور ، فلأنه حكم بغير ما أنزل الله ، وأما نفاذ حكمه إذا شاور العلماء فيه ، فلأنه حكم بما أنزل الله ، وأنه حكم بما أشار به العلماء عليه ، فإن كان كافراً بطل حكمه اتفاقاً ، لأن فيه جعل سبيل للكافر على المسلم وقد قال تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » (٨) .

ولأنه لا يعرف الأحكام الشرعية ، فحكمه يكون بغير ما أنزل الله ، فإن

كان الحكم خصاً وحكم بالجور له يلزم حكمه ونقد ، فإن حكم بحكم الله تعالى نفذ حكمه .

ما يحكم فيه الحكم من المقوى :

اختلت كلية الفقهاء فيما يجوز الحكم فيه فذهبوا إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : ليس للحكم أن يحكم في دية على العاقلة ولا في قصاص فيما دون النفس كقطع يد وفقاً عين وما إلى ذلك ولا في حد من الحدود .

ويحكم فيما عدا ذلك ، وهذا قول الحنفية (٩) .

ووجهة نظرهم : إن حكم الحكم بمنزلة الصلح . وهذه الأشياء التي منعها الحكم فيها لم يجز فيها الصلح . فلا يجوز فيها التحكيم .

القول الثاني : أنه للحكم أن يحكم في الجرح وفي المال وليس له أن يحكم فيما عدا ذلك كإثبات نسب ونفيه وطلاق ولعان وعنق ، وهذا قول المالكية (١٠) .

ووجهة نظرهم : إنه إنما أجازوا التحكيم في الجرح وفي المال فقط ومنعوه من غيرهما ، لأن غيرهما تعلق به حق لغير الخصمين . وهذا الحق الذي تعلق به ، إما أن يكون حفلاً لله تعالى كالردة والزناء والعنق والقتل والطلاق ، وإما أن يكون حفلاً للأدمي كاللواء والنسب وللعنان .

فلو قلنا بجواز التحكيم في خالص حق الله لأوى ذلك إلى التعدي على حق الإمام ، وهذا ممتنع .

وإن قلنا بجواز التحكيم فيسائر حقوق المخلوقات كالسرقة والقذف وما إلى ذلك فلأن الحكم فيها أيضاً فيه تعد على الإمام لأنه في حق الإمام .

القول الثالث : إنه ليس للحكم أن يحكم في كل شيء وهو مذهب الحنابلة ووجهه للشافعي (١١) .

ووجهة نظرهم : ما روى أبو شريح أن رسول الله - ﷺ - قال له : « إن

الله هو الحكم فلم تكن أبا الحكم ؟ قال : إن قومي كانوا إذا اختلفوا في

شيء أتوني فحكمت بينهم فرضى الفريقان ، قال : مما أحسن هذا ، فمن

أكبر ولدك ؟ قال : شريح ، فأنت أبو شريح » (١٢) .

فاستحسان الرسول - ﷺ - لفعل شريح وثناه عليه دليل على صحة

تحكيمه في كل شيء ، وإلا لما قبل ولا آخر .

رضى الخصم من وقت التحكيم إلى صدور الحكم :

بعد ما قبل الطرفان التحكيم . فهل يلزمها دوام الرضا إلى صدور

الحكم أم لها التراجع والانسحاب كلاً أو بعضاً .

إذا قبل الخصم التحكيم ابتداء ثم تراضيا على التراجع والانسحاب

من التحكيم صلحًا فيما بينهما فلهمما ذلك ولو حكم الحكم بعد ذلك فلا

ينفذ حكمه طالما تم التراضي والصلح بين الخصمين .

وفي حالة إذا ما كان التراجع والانسحاب من جانب واحد بعد أن أبدى

رضاه في التحكيم ابتداء ، فهذا مما اختلفت فيه كلمة الفقهاء فذهبوا إلى

قولين :

الأول : أنه لا يشترط دوام الرضا إلى صدور الحكم ، فحيث رضيا به

ابتداء فلا يجوز لأحدهما عدم الرضا ، فإن حكم الحكم نفذ حكمه ، ولزم

من لم يرض لأنه إنما وقع التحكيم بناء على رضاهم واختيارهما ، وقد

انعقد حيث قبل الحكم ، فلا يشترط الدوام ، وهذا مذهب الحنابلة وهو

المعتمد عند المالكية (١٢) .

الثاني : إنه يشترط دوام الرضا إلى وقت صدور الحكم ، فلو رجع واحد

منهما عن الرضا قبل الحكم ، وحكم الحكم عليهم لم ينفذ حكمه ، لأن

البعث الإسلامي وإية التحكيم في الإسلام

مصار صحة حكمه مبني على رضاهم بذلك ، وحيث لم يرض أحدهما فلا يجوز الحكم . وهذا مذهب الحنفية وبعض المالكية (١٤) .

فسخ التحكيم :

قلنا إذا تراضيا الخصم على التحكيم ابتداء ثم تراجعا معاً لرغبتهم صلحًا فلهمما ذلك طالما لم يصدر الحكم حكمه في المسألة المتنازع فيها . أما التراجع بعد صدور الحكم من الحكم . فهذا مما اختلف فيه الفقهاء فذهبوا إلى أقوال ثلاثة :

القول الأول : ينفس التحكيم مطلقاً . ويصير غير نافذ إن لم يرض الطرفان أو لم يرض أحدهما . ذهب إلى ذلك الحنابلة والشافعية في قول لها (١٥) .

ووجهة نظرهم : إن شرط نفاذ الحكم مبني على صحة التحكيم . وشرط صحة التحكيم الرضا . والرضا متوقف على معرفة الخصمين بحكم الحكم . والمعرفة متعدمة إلا بعد صدور الحكم فإذا صدر الحكم ولا يرضيا به أو لم يرض أحدهما ، كان الحكم باطلًا غير نافذ .

القول الثاني : لا ينفس التحكيم مطلقاً . ولا عبره بإباء من أبيه بعد وقوع الرضا منه . لأنه قد رضيه ابتداء . وشرط التحكيم الرضا . وقد وجد .

ووجهة نظرهم : حديث أبي شريح السابق فإن الرسول - ﷺ - أقره وأثنى عليه التحكيم . فلو كان التحكيم بعد صدور الحكم يجوز فسخه ونقشه لسؤاله عن رضى الخصمين به بعد الحكم لكنه لم يسأل فدل ذلك على لزوم الحكم ونفاذ مطلقاً رضياً به بعد الحكم أو لم يرضيا .

القول الثالث : ينفس التحكيم إن خالف حكم الحكم مذهب القاضي في

- وفرض المنازعات ومع اتفاقهما في هذا، فإنها يختلفان في بعض الوجوه، وبيان ذلك على سبيل المثال لا الحصر :
- ١- لابد من اعتبار الرضا في التحكيم، وأما بالنسبة للقضاء فليس كذلك، إذ القاضي يقضى بين الخصوم سواء رضوا به أم لا طالما أنه مولى من قبل ولد الأمر.
 - ٢- الحكم لا يحكم في جميع الخصومات ولا كذلك القاضي فإنه يقضى في جميع الخصومات.
 - ٣- إن للمحکمين عزل الحكم بعد اختياره، وقبل صدور الحكم، ولا كذلك بالنسبة للقاضي، فليس لهما ذلك.
 - ٤- حكم الحكم لا يتعدى المسألة التي حكم فيها، ولو تكررت، ولا كذلك القاضي فإن له الحكم فيها وفي غيرها.
 - ٥- الحكم لا يجوز له تفويض التحكيم إلى غيره، بخلاف القاضي فإن له ذلك.
 - ٦- الحكم لا يتعدى حكمه إلى الغائب، وهذا خلاف القاضي فإنه يحكم على الغائب.
 - ٧- الحكم يحكم في أي مكان، وهذا بخلاف القاضي فإنه ليس له أن يقضى إلا في حدود ولايته الذي ولد القضاء فيها.
 - ٨- ليس في مقدور الحكم حبس أحد الخصوم، واستيفاء ما حكم به، وهذا خلاف القاضي فإن له ذلك.
 - ٩- ليس للمحكِّم أن يستوفى عقوبه في حدود الله وتعازيره ولا كذلك القاضي فإن له ذلك.
 - ١٠- وعلى الجملة فإن للتحكيم أموراً خاصة به لا يشاركه فيها غيره.

البلد، ولا ينفع فيما دون ذلك وهذا مذهب الحنفية (١٦). وجهة نظرهم : إن التحكيم عقد في اختصاص حق القاضي، لذلك ملك فسخه، كسائر العقود الموقوفة.

ونوقيش هذا : بأننا لا نسلم إن هذا عقد موقوف، بل هو حكم صحيح لازم فلا يجوز نقضه، حكم من له الولاية، بجامع الصحة واللزوم وعدم النقض في كل.

وأما أنه لازم فالدليل عليه أنه لو وافق حكمه مذهب القاضي، لم يكن القاضي نقضه، وهذا دليل على أن الحكم صحيح لازم، فكيف يكون موقوفاً في هذه الحالة.

إن مقتضى قوله موقوفاً عدم نفاذه وعدم لزومه مع أنكم تقولون بالنفذ واللزوم.

فإذا كان ما حكم به الحكم مخالفًا لمذهب القاضي فأنتم تقولون بالفسخ لأن الحكم موقوف على إجازة الحاكم.

ونحن لا نسلم أن العقد يكون موقوفاً في بعض الأحوال لازماً في البعض الآخر، وقولكم لذلك ملك فسخه، يقتضي أن له الفسخ.

فإذا في الحالتين سواء وافق مذهب القاضي أم خالفه مع أنكم لا تقولون بفسخه إن وافق مذهبـه.

المفتار :

والذي نميل إليه هو عدم فسخ التحكيم بعد الرضا به ابتداء وقد حكم الحكم فترتب عليه ثمرته، وترتبط الثمرة دليلاً الصحة والانعقاد.

الفرق بين التحكيم والقضاء،
ما لا ريب فيه أن كلام الحكم والقاضي يرمي إلى حسم الخصومات

أهله وأبرزها أنه محكم في خصوصه بعينها فلا ينبع حكمه إلى غيرها، ثم إن الحكم الصادر من الحكم أقل مرتبة من القاضي فهو أعلى مرتبة من الحكم.

وحكمه في جميع القضايا التي تعرض عليه ولا كذلك الحكم.

.....

المواضيع

(١) القاموس المحيط : ج ٤ ، ص ٩٨ للفيروز آبادي .

(٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين : ج ٥ ، ص ٤٢٨ ، والبحر الرائق في شرح كنز الدقائق لابن نجيم : ج ٧ ، ص ٢٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٦٥ . (٤) سورة النساء ، الآية ٢٥ .

(٥) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي : ج ٤ ، ص ١٩٢ ، والبحر الرائق لابن نجيم : ج ٧ ، ص ٢٨ ، والمغني والشرح الكبير : ج ١١ ، ص ٤٢١ .

(٦) كشاف القناع : ج ٦ ، ص ٢٠٩ ، والمهذب للشيرازي : ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٧) تبصرة الحكام لابن فردون : ج ١ ، ص ٥٦ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ج ٤ ، ص ١٢٥ ، وحاشية ابن عابدين : ج ٥ ، ص ٤٢٨ ، والمغني والشرح الكبير : ج ١١ ، ص ٤٨٤ ، والبحر الرائق : ج ٧ ، ص ٢٨ .

(٨) سورة النساء ، الآية ١٤١ .

(٩) حاشية رد المحتار على الدر المختار : ج ٥ ، ص ٤٢٩ ، وتبين الحقائق شرح كنز الدقائق : ج ٤ ، ص ١٩٢ ، والبحر الرائق : ج ٧ ، ص ٢٨ .

(١٠) تبصرة الحكام : ج ١ ، ص ٥٥ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ج ٤ ، ص ١٢٥ .

(١١-١٢) المغني والشرح الكبير : ج ١١ ، ص ٤٨٤ ، وفيه وينفذ حكم من حكماء في جميع الأحكام إلا أربعة أشياء .. النكاح واللعان والقذف والقصاص ، فإن الإمام أو نائبه هو المختص . وقال أبو الخطاب ظاهر كلام أحمد أنه ينفذ حكمه فيها . انظر كشاف القناع : ج ٦ ، ص ٢٠٨ ، ومنتهى الإرادات للبهوتى : ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

(١٢) تبصرة الحكام : ج ١ ، ص ٥٥ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ج ٤ ، ص ١٤٠ .

(١٤) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق : ج ٤ ، ص ١٩٢ ، وتبصرة الحكام : ج ١ ، ص ٥٥ .

(١٥) المغني والشرح الكبير : ج ١١ ، ص ١٤٠ ، وكشاف القناع : ج ٤ ، ص ٢٦٤ .

(١٦) حاشية رد المحتار على الدر المختار : ج ٥ ، ص ٤٢٠ ، وتبين الحقائق : ج ٤ ، ص ١٩٢ .

.....

وقد ظلت المعركة قائمة بين هذه القوى وتلك وظل الإنسان معزقا في هذه المعركة حيران لا يهتدى إلى قراره حتى جاء الإسلام . فقام بعرض صورة كاملة متناسقة لاعوج فيها ولا اضطراب ولا تعارض فيها ولا خصام . جاء ليوحد القوى والطاقات جميعا ، ويمزج الأشواق والنزاعات والميول وينسق بين إتجاهاتها جميعا . ويعترف بها وحدة متكاملة في الكون والحياة والإنسان . جاء ليجمع بين الأرض والسماء في نظام الكون ، والدنيا والآخرة في نظام الدين . والروح والجسد في نظام الإسلام . والعبادة والعمل في نظام الحياة . ويسلكها جميعا في طريق موحد . هو الطريق إلى الله وي الخضعها كلها لسلطان واحد هو سلطان الله . فالإسلام دين الوحدة بين العبادة والمعاملة ، والعقيدة والشريعة والروحيات والماديات ، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية ، والدنيا والآخرة والأرض والسماء .

وعن تلك الوحدة الكبرى تصدر تشريعاته وفرائضه ، وتوجيهاته وحدوده . وقواعده في سياسة الحكم وسياسة المال . وفي توزيع الغانم والمغارم . وفي الحقوق والواجبات . وفي ذلك الأصل تنطوي سائر الأجزاء والتفصيلات (١) .

وحين ندرك هذا الشمول في طبيعة النظرة الإسلامية للألوهية والكون والحياة والإنسان . ندرك معها الخطوط الأساسية لحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية في الإسلام فهي قبل كل شيء . حقوق وعدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها . وليس مجرد

(١) سيد قطب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) دار الشروق - الطبعة السابعة - ١٩٨٠ .

حقوق الإنسان و موقف الإسلام منها

[الحلقة الأولى]
البروفيسور المساعد محمد مفيض الدين
القسم العربي . جامعة شيتاغونج - بنغلاديش

مقدمة :
الإسلام وهو يتولى تنظيم الحياة الإنسانية جميعا ، لم يعالج نواحيها المختلفة جزاها . ولم يتناولها أجزاء وتفاريق ذلك لأن له تصورا كلياً متكاملاً عن الألوهية والكون والحياة والإنسان حيث يرد إليه كافة الفروع والتفاصيل ، ويربط إليه نظرياته جميعا وتشريعاته وحدوده . وعباداته ومعاملاته . فيتصدر فيها كلها عن هذا التصور الشامل المتكامل . ولا يرتجل الرأي لكل حالة . ولا يعالج كل مشكلة وحدها في عزلة عن سائر المشكلات .

ومعرفة هذا التصور الكلي للإسلام تيسر للباحث فيه فهم أصوله وقواعدـه . وتسهل عليه ان يرد الجزئيات إلى الكليات . وأن يتتبع في لذة وعن خطوطه وإتجاهاته ويلاحظ أنها متشابكة ومتكاملة . وأنها كل لا يتجزأ . وأنها لا تعمل عملاً مثمراً للحياة إلا وهي متكاملة الأجزاء والإتجاهات .

ولقد ظلت الإنسانية أدواراً طويلاً لا تهتدى إلى فكرة شاملة عن القوى الكونية والإنسانية . ظلت تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية . تنكر أحدهما لتثبت الأخرى . أو تعرف بوجودهما في حالة تعارض وخصام . وتصوغ تعاليمهـا على أساس أن هناك تعارضـاً أساسـياً بين هذه القوى وتلك وأن رجحان أحدهما مرهون بخفة الأخرى . وأنه لا مفر من رجحان كفة وخفـة كـفة لأن التـعارض في نـظرـها أساسـاً في فـطـرةـ الكـونـ

حقوق وعدالة اقتصادية فقط . وهي اذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجودانات . والقيم التي تتناولها هذه الحقوق والعدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها وليست القيم المادية على وجه العموم ، لأنها هي متزجّة بها القيم المعنوية والروحية جمِيعاً ، هذا وسوف نشير باختصار إلى بعض حقوق الإنسان في الإسلام حيث انه يصعب جمع هذه الحقوق في عجلة .

أولاً : التحرر الوجданى :

لن تتحقق حقوق وعدالة اجتماعية كاملة للإنسان ، ولن يضمن لها البقاء والتنفيذ ، مالم يكن هناك شعور نفس باطن باستحقاق الفرد لها ، وحاجة الجماعة إليها ، وبعقيدة في أنها تؤدي إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أسمى ، وما لم تستند كذلك واقع مادي ، يهُي للفرد أن يتمسك بها ، ويتحمل تكاليفها ويدافع عنها ، ولن يتحققها الإنسان بالتشريع قبل أن يتحققها بالشعور وبالقدرة العملية على استدامة هذا الشعور ولن تحافظ الجماعة على التشريع إن وجد إلا وهناك عقيدة تؤيده من الداخل ، وإمكانيات عملية تؤيده من الخارج ، وهذا ما هدف إليه الإسلام في توجيهاته وتشريعاته جمِيعاً .

وتذهب المسيحية - كما صورتها الكنيسة والمجامع المقدسة والبوذية كذلك ، إلى أن التحرر الوجданى من لذائذ الحياة وشهواتها ، والتوجه إلى ملوكوت رب في السماء ، واحتراف الحياة الدنيا كفيل بأن يضمن لبلسان حريته وللضمير سعادته - هذا حق ، ولكن ليس الحق كله ، فدروع الحياة لا تظهر في جميع الأحوال ، وضروريات الحياة الواقعية لا تغلب أبد الدهر ، ولا بد أن يخضع الإنسان لضغوطها في أكثر الأحيان . على أن قهر دوافع الحياة وكبتها ليست خيرا دائمًا ، فالله خالق

الحياة لم يخلقها عبثاً . ولم يخلقها ليعطل البشر ويوقف نموها ، وأنه لن الخير أن يسمو الإنسان على ضروراته ، وأن يرتفع على شهواته ولكنه ليس من الخير أن يعطّل الحياة ذاتها بذلك السمو وهذا الارتفاع . فإذا كان هناك طريق لأن تنطلق القوى المكنونة في كيان البشرية وأن يرتفع الإنسان على الخضوع المذل لضروراته ، فذلك هو الطريق الأفضل والأسلم ، وهذا ما هدى إليه الإسلام ، وهو يوحد ضرورات الجسد وأشواق الروح في نظام ويكفل التحرر الوجданى بالشعور الباطن والإمكان الواقع ولا يغفل عن هذا أو ذاك (١) .

وتذهب الشيوعية إلى أن التحرر الاقتصادي وحده كفيل بالتحرر الوجданى وأن الضغط الاقتصادي على الفرد هو الذي يجعله يتخلّى عمّا تكفل له القوانين النظرية أحياناً من عدالة ومساواة ، وهذا حق ، ولكنه ليس الحق كله ، فالتحرر الاقتصادي ذاته لا يكفل له البقاء في المجتمع إلا بالتحرر الوجدانى من داخل الضمير فهو عرضه لضغط آخر هو ضغط الضرورات والاستعدادات والميول التي لا تكفي التشريعات وحدها لقاومتها . والفرد الذي تقعده به استعداداته الطبيعية عن مجاراة الآخرين في الإنتاج . وعن مجاراتهم في التطلع والطموح ، هذا الفرد لا بد أن يفقد حرصه على المساواة التي يكفلها له القانون ، لإحساسه الباطن بأنه أقل من سواه ولو تبع قترة وكابر والإنسان ذو الاستعدادات الفائقة والنتائج الموفورة ، لا بد أن يغالب قانون المساواة المطلقة ونظام الملكية العامة الشامل ، فإن لم يستطع فقد عليهما وخفق .

فاما حين تستند المساواة إلى تحرر وجданى عميق ، كما تستند إلى

(١) سيد قطب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) دار الشروق - الطبعة السابعة - ١٩٨٠م .

الشرع والتنفيذ ، فإن الشعور بها يكون أقوى عند القوى وعند الضعيف أنها تستحيل في الضعف تسامياً وفي القوى تواضعاً .

وتلتقي في النفس بالعقيدة في الله . وفي وحدة الأمة وتكافلها . وهذا ما هدف إليه الإسلام حين حرر الوجدان البشري تحريراً مطلقاً . كاملاً . بعد ما كفل في الوقت ذاته حاجات الجسد . وضرورات الحياة

بحكم الأوضاع وبحكم القانون وبحكم الضمير سواء .

لقد بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله . ومن الخضوع لأحد غير الله فما لأحد عليه من سلطان غير الله وما من أحد يحييه إلا الله . وما من أحد يملك له خيراً ولا نفعاً إلا الله . وما من أحد يرزقه من شيء في الأرض ولا في السماء إلا الله . وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع - والله هو الذي يستطيع ، والكل سواء عبد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً .

«قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد» (سورة الإخلاص) . وعلى ذلك توحد الله توحد عبادته . واتجه الجميع إليه فإن عباده سواء ولا حاكمة كفирه كي لا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ولا يكون لأحد منهم فضل على أحد إلا بعمله وتقواه .

«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً . ولا يتخذ بعضاً أرباباً من دون الله» (سورة آل عمران ، الآية : ٢٤) .

وقد حرر الإسلام بتحرير وجдан البشرية وعنّ بها حتى بالنسبة للأنبياء حيث قد يتجه إليهم الناس بشيء من العبادة أو ما في معناها على وجه من الوجه . ولهذا نص على ذلك التحرير الوجданاني للبشرية من هذه الناحية حرراً كاملاً . والآيات القرآنية كثيرة في هذا الموضوع منها ما

يخص سيدنا محمد - ﷺ - حيث قال : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفيان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» (سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤) .

وفي موضع آخر يقول له : «ليس لك من الأمر شيء» (سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨) .

وفي موضع آخر يأمره الله بأن يجهر بحقيقة موقفه : «قل إنما أدع ربِّي ولا أشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشدًا . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجده من دونه ملتحداً» (سورة الجن ، الآية : ٢٠-٢١-٢٢) .

وكذلك يتحدث الله عن الذين جعلوا من سيدنا عيسى ابن مريم آلة فيقول : «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم . قل فمن يملك من الله شيئاً . إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً» (سورة المائدة ، الآية : ١٨) .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم وهو كتاب الله المنزَل من عنده يؤكّد ويستمر في تأكيد هذه العقيدة وتبينها وتوضيحها حتى يصل إلى تحرير الوجدان البشري من كل شبهة شرك في الوهبيته أو ربوبيته . وقد ضغط هذا الوجدان أو تضعفه وتختصره لخُلُوق من عباد الله إن يكن نبياً أو رسولاً فإنه عبد من عباده وليس باليه .

فإذا تحرر الوجدان من شعور العبادة والخضوع لعبد من عباد الله وامتلاً بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله . لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة أو الخوف على الرزق . أو الخوف على المكافأة . وهذا الشعور بالخوف قد يدعوه إلى قبول الذل والمهانة والتنازل عن كثير من كرامته وكثير من حقوقه .

[يتبع]

وأخرجه الفقيه أبو الليث السمرقندى فى كتابه «تنبيه الغافلين» فى
باب الحبر على المعصية . فقال :
قال الفقيه أبو الليث السمرقندى فى كتابه «تنبيه الغافلين» فى
باب الحبر على المعصية . فقال :

لـ : أبو الليث السمرقندـي - رضـي الله تعالى عـنه - حدـثـنا الفـقيـه أبو جـعـفر ، حدـثـنا أبو يـعقوـب إـسـحـاق بن عبد الرحمن القـارـئ ، حدـثـنا إـبرـاهـيم بن إـسـحـاق القـاضـي بالـكـوـفـة ، حدـثـنا مـحـمـد بن عـاصـم صـاحـب الـمـعـارـف ، حدـثـنا سـلـيـمان بن عـمـرـو عن مجـاهـد بن الحـسـن عن عبد الرحمن بن غـانـم عن مـعاـذ بن جـبـل - رضـي الله تعالى عـنه - قال مـات ابن فـكـتب لـي رسول الله - ﷺ - :

” من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل ، السلام عليك . فأنا أحمد الله
الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا
وإياك الشكر ، ثم إن نفوسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا وأموالهم من
مواهب الله الهيئة وعواريه المستودعة يتمتع بها إلى أجل معدود
ويقبحها لوقت معلوم ، ثم افترض الله علينا الشكر إذا أعطى والصبر
إذا ابتلى . وكان ابنك هذا من مواهب الله الهيئة وعواريه المستودعة
متعمد الله به في غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير إن صبرت واحتسبت ،
فلا تجتمعن عليك يا معاذ أن يحيط جزعك أجرك فتندم على ما فاتك ، فلو
قدمت على صواب مصيبتك عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، أعلم أن
الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا فليذهب عنك أسفك بما هو نازل بك
فكأنك قد نزل بك ، والسلام .

”المعروف بالحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ . الهند : دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد ١٢٤١هـ .

كتاب رسول الله - ﷺ - إلى معاذ بن جبل

يقدم : سعادة الدكتور محمد عبد الشهيد النعmani
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كراتشي - الباكستان

فَتَنَدَمْ .

الله إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ :
أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِنَا وَأَوْلَادِنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْهَنِيَّةِ
وَعَوَارِيَّهِ الْمُسْتَوْدِعَةِ ، مَتَعَكِّبٌ بِهِ فِي غَبْطَةِ وَسُرُورِ وَقْبَضِهِ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَبِيرٍ
الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ وَالهُدَىُّ أَنْ احْتَسِبْتَهُ ، فَاصْبِرْ وَلَا يُحْبِطْ جُزُّكَ أَجْرُكَ

واعلم أن الجزع لا يرد شيئاً ولا يدفع حزناً وما هو نازل فكان قد
والسلام، أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، فقال:
حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، أنا الحسين بن عبد الله بن
يزيد القطاني بالرقة، ثنا عمرو بن بكر السكسي، ثنا مجاشع بن عمر
الأحدسي، ثنا الليث بن سعد، عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن
لبيد، عن معاذ، أنه مات له ابن فكتب إليه رسول الله - ﷺ - يعزيه على
ذكر الحديث، وقال غريب حسن إلا أن مجاشع بن عمرو ليس من شر
هذا الكتاب (١).

(١) المستدرک على الصحيحین : ٢٧٢/٢ ، لأبی عبد الله محمد بن عبد الله <<

قال الفقيه - رضي الله تعالى عنه - معنى قوله فليذهب عنك أسفك
بما هو نازل بك يعني تفكير في الموت الذي هو نازل بك حتى يذهب حزنك
فكان قد يفي كأنه قد جاء الموت لأن الرجل إذا تفك في موت نفسه وعلم
أنه يموت عن قريب فلا يجزع له لأن الجزء لا يرده ميتاً ويبطل ثواب
المصيبة لأن الذي يجزع على الميت إنما يشكو ويرد قضاء (١).

وأخرج أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، فقال:
حدثنا أبو علي بن أحمد بن الحسن، ثنا أحمد بن محمد بن الجعفرية،
ثنا حفص بن عمر المقرئ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن القرشي عن محمد
ابن سعيد بن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم، قال: شهدت معاذ
ابن جبل - رضي الله تعالى عنه - حين أصيب بولده واجده عليه
فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلام
عليك، فاني أح مد إليك الله الذي لا إله إلا هو فذكر مثل حديث محمد بن
سعيد عن عبادة وروى من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر
نحوه.

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلام
عليك، فاني أح مد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فعظم لك الأجر
وألهك الصبر ورزقنا وإياك الشكر، إن أنفسنا وأهلينا وأموالنا
وأولادنا من موهاب الله الهيئة وعواريه المستودعة يتمتع بها إلى أجل
معلوم ويقبض لوقت محدود، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر
إذا ابتلى وكان ابنك من موهاب الله الهيئة وعواريه المستودعة متوك به
في غبطة وسرور وقبضه منك بأجر كبير، الصلاة والرحمة والهدى أن
صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين فيحيط لك أجرك

(١) تنبـيـهـ الـفـالـفـلـينـ (٨٨) لـنـصـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ السـمـرـقـنـديـ، مـصـرـ مـطـبـعـةـ
الـيـمـنـيـةـ ١٢٩٨ـ هـ.

فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثوابك مصيبة علمت أن المصيبة قد
قصرت في جنب الثواب فتنجز من الله تعالى موعوده ولزيذهب أسفك ما
هو نازل بك فكأن قد . والسلام .

حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد ، حدثني عمرو بن بكر بن بكار الكعبي ،
ثنا مجاشع بن عمرو بن حسان ، ثنا عمرو بن حسان ، ثنا الليث بن سعد
عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لميد عن معاذ بن جبل - رضي
الله تعالى عنه - أنه مات ابن له فكتب إليه رسول الله يعزه بابنه فكتب
إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل ، سلام
عليك ، فاني أح مد إليك الله الذي لا إله إلا هو فذكر مثل حديث محمد بن
سعيد عن عبادة وروى من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر
نحوه .

قال الشيخ - رحمة الله تعالى - وكل هذه الروايات ضعيفة لا تثبت ،
فإن وفاة ابن معاذ كانت بعد وفاة النبي - ﷺ - بستين وإنما كتب إليه
بعض الصحابة فوهم الراوي فنسبها إلى النبي - ﷺ - وكان معاذ أجل
واعلم من أن يجزع ويغلبه الجزء عن الاستسلام ، بل الصحيح ما رواه
الحارث بن عميرة وأبو منيب الجرجشى من استسلامه واصطبارة عند
وفاة ابنه . ولا يعلم لمعاذ غيبته في حياة رسول الله - ﷺ - إلا إلى اليمن
فقدم بعد وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - .

وليس محمد بن سعيد ولا مجاشع من يعتمد على روایتهما
ومفاريدهما (١).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفباء : ص / ٢٤٢ - ٢٤٤ . للحافظ أبي نعيم <>

وأخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » في ترجمة محمد بن بشر البغدادي ، فقال :

محمد بن بشر البغدادي . حدث عن إسحاق بن نجيج المطبي روى عنه النعمان بن مدرك الرسعني . أخبرنا أبو القاسم طلحة بن علي بن الصقر الكتاني . قال : نبأنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي الحراني ، قال : نبأنا النعمان بن مدرك برأس العين . قال : نبأنا محمد بن بشر البغدادي ، قال : نبأنا إسحاق بن نجيج عن عطاء عن ابن عباس . قال : كتب النبي - ﷺ - إلى معاذ بن جبل وهو والي اليمن : « من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل ، سلام عليك ، إني أعلمك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فأعظم الله لك الأجر . وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر . ثم إن أنفسنا وأهلينا وأموالنا وأولادنا من موهاب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة نتمتع بها إلى أجل محدود ويقبضها لوقت معلوم . ثم افترض علينا الشكر إذا أعطي والصبر إذا ابتلى . وكان ابنك من موهاب الله تعالى الهنية ، وعواريه المستودعة متوكلاً على الله في غبطة وسرور وقبضه منه بأجر . الصلاة والرحمة والهدى أن صبرت واحتسبت . فلا تجمعن يا معاذ خصلتين أن يحيط جزرك أجرك فتندم على ما فاتك فلو ندمت على ثواب مصيبتك وتنجزت موعده عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . واعلم يا معاذ : أن الجزء لا يرد شيئاً ولا يدفع حزناً فاحسن العزاء وتنجز الموعدة وليدذهبن أسفك بما هو نازل بك مكان . (فكان) قد ، والسلام .

وقال : هذا حديث موضوع . ومحمد بن سعيد هو الكذاب الوضاع الذي

صلب في الزندقة . وقد ذكرت القدح فيه في مواضع . وقد روى هذا الحديث

(١) رسالات نبوية : ص ٢٧٥ . عبد المنعم خان التونسي . الهند . مطبعة دلهي

١٢٢٤ هـ .

وأخرجه محمد بن أبي داود الأصبهاني في « كتاب الزهرة » قال : حدثنا القاضي إبراهيم العاصم ، قال : حدثنا سليمان بن عمرو أبو داود النخعي ، عن مهاجر بن أبي الحسن الشامي ، عن عبد الرحمن بن تميم ، عن

» أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٢٠ هـ) مصر مكتبة الخانجي . وطبعه السعادة ١٢٥٠ هـ .
(١) تاريخ بغداد : ٨٩/٢ . لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢ هـ)
بيروت ، دار الكتب العلمية .

مجاشع بن عمرو . عن عمرو بن حسان ، عن الليث . عن عاصم بن عمر ،
عن محمود بن لبيد عن معاذ مثله . قال ابن حبان : مجاشع يضع الحديث

لا يحل ذكره إلا بالقديح .

وقد رواه إسحاق بن نجيع عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كتب رسول الله - ﷺ - إلى معاذ وهو والي اليمن : « من محمد رسول الله إلى معاذ »
فذكر نحوه مختصرًا . قال يحيى : إسحاق معروف بالكذب و وضع
الحادي وكل هذه الروايات باطلة ، وإنما كانت وفاة ابن معاذ في سنة
الطاعون سنة ثمان عشرة بعد موت رسول الله - ﷺ - بسبع سنين .
وإنما كتب إليه بعض الصحابة يعزيه (١) .

وأخرجه السيوطي في الالبي المصنوعة في الأحاديث الموضعية ، فقال :
أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبو سعيد أحمد بن محمد
البغدادي . قالا : أربأنا المظفر بن عبد الواحد ، أربأنا أبو جعفر بن
الزربان . أربأنا محمد بن إبراهيم الحروري . حدثنا عبد الله بن عبد
الرحمن عن محمد بن سعيد . عن عبادة بن نسي . عن عبد الرحمن بن غنم .

وأخرجه السيوطي مرسلًا من طريق أهل البيت فقال :

قال الوكيع في « الغرر » حدثني أبو إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن
علي بن أبي طالب حدثني عمي ، حدثني إسحاق بن جعفر بن محمد عن
أبيه . عن جده أن ابنا معاذ بن جبل هلك . فجزع عليه جزعا شديدا .
فكتب إليه رسول الله - ﷺ - أما بعد : فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا

(١) كتاب الموضوعات (باب التعزية : ٢٤٢-٢٤١/٢) لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)
المدينة المنورة ، المكتبة السلفية .

البعث الإسلامي
كتاب رسول الله - ﷺ - إلى معاذ بن جبل
وأولادنا من موهب الله الحسنة وعواريه المستودعة . ذكر الحديث
بنحوه . والله أعلم (١) .
فهكذا نرى أن الكتاب الذي أرسل إلى معاذ بن جبل حين أصيب معاذ

بولده روى عن عدة من الصحابة من طرق عديدة . منها طريق عبد الرحمن
ابن غنم فيه محمد بن سعيد الكذاب المصلوب بالزنقة . ومنها طريق ابن
عباس فيه إسحاق بن نجيع المتهم بالكذب . منها طريق معاذ بن جبل
الذي ذكره محمد بن داود الأصفهاني في كتاب الزهرة فيه أبو داود التخعي
المتهم بالكذب . منها طريق آخر عن معاذ بن جبل فيه مجاشع بن عمر
المتهم بالكذب . ومنها طريق جابر أشار إليه أبو نعيم فقال :
وروى من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن حنوه (٢) .

وكثرة الطرق تدل على أن هذا الكتاب له أصل ولذلك قال الطبراني عنه
أنه غريب حسن ، وكذلك الطريق المرسل له شاهد حسن لأن الإمام محمد
ابن باقر من الثقة . يقول صاحب الرسائل النبوية :

إن الإمام باقر ثقة مكثر في رواية الحديث . تابعي . يروى عن جابر
وابن عمر . وأبي سعيد وغيرهم من الصحابة . وزمانه مقدم على عهد
الوضاعين المذكورين . فروايته يدل على أن الحديث قد وجد قبل زمان
الوضاعين (٢) .

وأما تضييف ابن الجوزي وأبي نعيم بناء على أن وفاة ابن معاذ كانت
بعد وفاة النبي - ﷺ - بستين وإنما كتب إليه بعض الصحابة فوهم الراوي
ونسبها إلى النبي - ﷺ - . ولا يعلم لماعذ غيبة في حياة النبي - ﷺ - إلا إلى

(١) الالبي المصنوعة في الأحاديث الموضعية (كتاب الموت والقبور : ص ٥٧٠)
لجلال الدين السيوطي . الهند . المطبع العلوي ١٢٠٢هـ .

(٢) حلية الأولياء : ص ٢٤٢ .

(٢) رسالات نبوية . عبد المنعم خان (٢٧٧) الهند دلهي مطبع رنتك ١٢٢٤هـ .
اليمن فيجيب عنه .

يمكن ان ابن معاذ الذي توفي بعد النبي - ﷺ - كان غير ابن معاذ الذي عزى فيه النبي - ﷺ - فإنه لم يسم في حديث التعزية ذلك الابن المسمى ، وقد صرخ فيما سبق من الروايات ان ذلك وقع حين كون معاذ باليمين في عهده - ﷺ - . وأما الذي توفي بعد النبي - ﷺ - فهو عبد الرحمن بن معاذ ،

توفي مطعوناً مع معاذ ، والله أعلم .

وأخرج هذا الكتاب ابن الجوزي كذلك في « حصن الحصين » مع أنه قد صرخ في مقدمة كتابه .

« واني أرجو أن يكون جميع ما فيه صحيحًا » .

ويقول المحدث « علي القارئ » في « الحزر الثمين والحرز الوصين

لشرح الحصن الحصين » :

رواه الحاكم وابن مردوه عن معاذ بن جبل ، وقد صرخ ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع ، قلت : يمكن أن يكون بالنسبة إلى إسناده المذكور عنده موضوعاً ، على أنه معارض بما ذكره الحاكم في « المستدرك على الصحيحين » وقال : حسن غريب ، وقد رواه ابن مردوه أيضاً ، وكذلك الفقيه أبو الليث السمرقندى بإسناده في « تنبيه الغافلين » فهو إما حسن أو ضعيف ، والضعف يعمل به في فضائل الأعمال اتفاقاً ، وقد قال أبو نعيم : لا يثبت رفعه وهو موقوف ، لكنها وصية حسنة انتهى ، ولم يبين أنه موقوف على صحابي أو تابعي ، والله أعلم (١) .

.....

(١) الحزر الثمين والحرز الوصين شرح الحصن والحسين ، لحمد بن محمد بن محمد الجوزي ، الهند ، المطبع الجليل .

بين الضمير والموضوع

من الأحاديث

[الحلقة الخامسة]

بقلم الشيخ عبید اللہ الأسعدي
عضو عينة التدريس بالجامعة العربية . متورا . باندہ (الهند)

٤٠ - تصريح من غير الحنفية بالاشتراط لبعض ما ذكروا :

قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي - وهو أحد أئمة الشوافع ومن كبار فقهائهم - في كتابه « المعم » في باب « بيان ما يرد به خبر الواحد » « إذا روى الخبر ثقة رد بأمور :

أحدها : أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا .

والثاني : أن يخالف نص كتاب أو سنة متواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ .

والثالث : أن يخالف الإجماع فيستدل به على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحاً غير منسوخ . وتجمع الأمة على خلافه .

والرابع : أن ينفرد الواحد ما يجب على الكافة عليه فيدل ذلك على أنه لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون له أصل وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم .

والخامس : أن ينفرد برواية ما جرت العادة أن ينقله أهل التواتر فلا يقبل لأنه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية .

وأما إذا ورد مخالفاً للقياس أو انفرد الواحد برواية ما تعم به البلوى

البعث الإسلامي
من المحدثين . والمجتهدين » (١) .

وقد وضع التهانوي في كتابه : « قواعد في علوم الحديث » - الذي ألفه مقدمة لكتاب العظيم الضخيم الفخيم « أعلاه السنن » - فصلاً خاصاً بهذا الموضوع وهو الفصل الأول من كتابه .

٢٢- التضعيف النسبي :

وقد ذكر هو في عدة مواضع من الكتاب ، واستدل عليه بنقول الأئمة ، أن تضعيف الراوي ، قد يكون بالنظر لمن هو فوقه (٢) .

ذكر أن الحافظ ابن حجر قال في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن الحنظلة - المعروف بابن الغسيل - بعد حكاية توثيقه : « قلت تضعيفهم له بالنسبة إلى غيره من هو أثبت منه من أقرائه وقد احتاج به الجماعة سوى النسائي » (٢) .

ونحو ذلك جاء من قوله في عبد ربه بن نافع الكتاني وأبي إسحاق السباعي (٤) ، وقال السخاوي في فتح المفيث :

« وعلى هذا يحمل أكثر ما ورد من الاختلاف في كلام أئمة الجرح والتعديل . فينبغي لهذا حكاية أقوال أهل الجرح والتعديل ليتبين ما لعله خفي على كثير من الناس . وقد يكون الاختلاف للتغير في الاجتهد » (٥) .

٢١- أمر التصحح والتضعيف من الأمور الاجتهادية :
وأمر التصحح والتضعيف من الأمور الاجتهادية التي لا يزال يختلف فيها أهل العلم . وللرجال فيما يعشقون مذاهب ، فما يعده بعض الناس عيباً وحرجاً لا يعني ذلك شيئاً وشيئاً عند آخر ، وربما يتحقق لبعضهم في رجل مالم يدركه الآخر ولم يعرفه لأن الأول مارسه وخالطه ، وكذلك بينما يرى بعض الأئمة أن فلاناً مجرور ومطعون لا يراه كذلك بعضهم الآخرين ، ورب ضعيف عند المحدثين صحيح عند غيرهم ، وأيضاً ربما يضعف البعض أو يحسن من غير نظر إلى صفات الرواية وأحوالهم بل لأمور خارجية . لأجل الشواهد ونظراً إلى من فوقه من الرواية و نحو ذلك (٢) ولذا نازع ابن الهمام وموافقوه فيما ذكره الحافظ ابن حجر وتبعه في ذلك غيره . من مراتب الأحاديث الصاحح إطلاقاً (٢) .

ومعلوم أن الأمور الاجتهادية فيها نوع سعة عند الجمهور ، لا خلاف فيه بينهم . قال التهانوي - رحمة الله سبحانه وتعالى - :

« لا شك أن أصول التصحح والتضعيف ظنية ، مدارها على ذوق المحدث والمجتهد غالباً . فلا لوم على محدث ومجتهد يخالف فيها غيره

(١) (كتاب اللمع) : ص/٥٤ ، (فتح المهم) : ١٦١ .

(٢) (قواعد في علوم الحديث) : ص/٢٢٩ وما بعد .

(٢) (فتح القدير) : ٢٨٨/١ . و (التحرير) : ٢٠/٢ . وراجع للتفصيل في الموضوع ، (الأجوبة الفاضلة - مع التعليقات) : ص/٢٠٤-٢٠٢ . و (القواعد في علوم الحديث) : ص/٢٧ . و (شرح القاريء على النزهة) وغيرها .

(١) (قواعد في علوم الحديث) : ص/١٧ .

(٢) نفس المصدر : ص/١٦١-٢٢٩-٢٤٤-٢٥٦ .

(٤-٢) (الهدى السارى) : ص/٤٢٨-٤١٦-٢٨٦ .

(٥) (قواعد في علوم الحديث) : ص/١٦١ . من (فتح المفيث) : ص/١٦٢ . (غير النسخة التي احلت إليها) .

٤٤ - قد يدرك الاتصال ويتعلق من خارج السندي :

و جاء في مطابق أبحاث الأئمة والحدائين ومن تصريحات الحفظين من أهل هذا الشأن - ما يدل على أنه قد يتلقى الصحة والحسن من خارج السندي ويحكم بأحدهما على الحديث بناء على قرائن سوى ما اشترطوا في صحة الحديث وحسنـه - وقد تقدم ذكر ذلك وسيأتي أيضـاً - فكذلك يوجد فيها بعض ما يدل - وإن لم نجد صريحاً - على أنه يدرك الاتصال ويحكم به استفادة وتلقياً إيهـا من خارج سند الحديث الذي يكون المحدث والحق بصدر الحكم عليه ، وهذا يصح لنا أن نقول :

« ربما يكون ما ظاهره الانقطاع متصلـاً وما ظاهره عدم السـماع مـسمـوعـاً » كما « يكون بعض المتصلـ منقطـاً ولو باطنـاً ، وبـعـضـ صـحـيـعـ السـنـدـ باـطـلاً » وما يدل عليه ، الاحتـجاج بالرسـلـ فإـنهـ ليسـ ذـلـكـ إـلاـ بنـاءـ علىـ ثـبـوتـهـ اـتصـالـاـ وإنـ لمـ نـقـفـ عـلـىـ السـاقـطـ مـنـ سـنـدـهـ تعـيـيـنـاـ .

وإليكم بعض التصريحات مما لنا أن نستدل بها على دعواـناـ هـذـهـ ، إن رواية طـاؤـوسـ عنـ مـعاـذـ بـنـ جـبـلـ - رـضـيـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـهـ - مـاـ يـعـدـ منـقـطـاـ اـنـقـطـاعـاـ ظـاهـراـ ، لـكـنـ قـالـ إـلـاـمـ الشـافـعـيـ فـيـ ذـلـكـ : « طـاؤـوسـ عـالـمـ بـأـمـرـ مـعاـذـ وـإـنـ لـمـ يـلـفـهـ ، لـكـثـرـةـ مـنـ لـقـيـهـ مـنـ اـدـرـكـ مـعـادـاـ ، وـهـذـاـ مـاـ لـاـ اـعـلـمـ مـنـ اـحـدـ فـيـهـ خـلـافـاـ » (١) .

وقـالـ صـاحـبـ فـتـحـ الـلـهـ بـعـدـ أـنـ نـقـلـ عـنـهـ قـولـهـ هـذـاـ : « وـتـبـعـهـ الـبـيـهـقـيـ وـغـيرـهـ » (٢) .

(١) (تلخيص الحبير) : ص/٢٦٠ .

(٢) (فتح المهم) : ص/٢٦١ .

البعث الإسلامي
الخلاف في الرواية والروايات ينزل الحديث منزلة المسن :

أقول وهذا ما أجاهم إلى القول بأن مثل هذا الخلاف من الأئمة في الرواية والروايات يؤدي إلى اعتبار الحسن وعدم نزول الحديث من رتبة الحسن ، قال التهانوي - رحمـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ - :

« إذا كان الحديث مختلفـاـ فـيـهـ ، صـحـهـ أوـ حـسـنـهـ بـعـضـهـ وـضـعـفـهـ آخـرـونـ ، فـهـوـ حـسـنـ ، وكـذـاـ إـذـاـ كـانـ الرـاوـيـ مـخـلـفـاـ فـيـهـ ، وـثـقـهـ بـعـضـهـ وـضـعـفـهـ بـعـضـهـ ، حـسـنـ الـحـدـيـثـ » (١) .

وقد رأينا الإمام الذهبي في الموقفة انه جعل ما اختلفوا في تحسينه وتضعيفه بالمرتبة الثانية من الحسن (٢) ، وقال الإمام المنذري في مقدمة « الترغيب » :

« أقول إذا كان رواة إسناد الحديث ثقات ، وفيهم من اختلفـ فـيـهـ ، « إـسـنـادـ حـسـنـ أوـ مـسـتـقـيمـ أوـ لـاـ بـأـسـ بـهـ » وـنـحـوـ ذـلـكـ حـسـبـماـ يـقـتـضـيـهـ حـالـ إـسـنـادـ وـالـتـنـ وـكـثـرـةـ الشـواـهدـ » (٣) .

وقد وجدنا ابن القطان ، وابن دقيق العيد و المنذري و الحافظ و ابن الهمام و السيوطي كلهم ، في عدة أحاديث جاء فيها بعض من اختلفوا فيه توثيقـاـ و تضعيفـاـ ، بعد أن ذكرـواـ الخـلـافـ ، قالـواـ : « فالـحـدـيـثـ حـسـنـ » (٤) .

(١) (قواعد في علوم الحديث) : ص/٤٦ .

(٢) (الموقفة) : ص/٢٢ . (التدريب) : ١٦٠/١ .

(٣) (الترغيب والترهيب) : ٢١١/١ .

(٤) انظر للأمثلة (قواعد في علوم الحديث) : ص/٤٨ .

”وربما يكون الانقطاع أصح من الاتصال كما يكون الوقف أصح أحياناً عن الرفع باعتبار الثبوت“ (١).

وقول الإمام الشافعي في طاؤوس ، وكذا قول الإمام الطحاوي في أبي عبيدة - يعني أن الاتصال فيما رواه ثابت متيقن ، وإن لم نقف على من سمع كل منها عنه من أصحاب معاذ وأصحاب ابن مسعود - رضي الله تعالى عنها - .

وكذا يدل على انهم ربما يفعلون هذا ويقبلون ما يرد ويروى كذلك لأجل التثبت والتحقق من المروي . ما رواه الاعمش وذكره ، فقد قال : « قلت لإبراهيم النخعي : اسند لي عن ابن مسعود ، فقال : إذا حدثكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت ، وإذا قلت : « قال عبد الله » فهو من غير واحد « عن عبد الله » (٢) .

وقال الإمام الطحاوي ، وهو يتكلم في حديث إبراهيم النخعي عن عبد الله في ترك النبي - الرفع فيما بعد التحرير : « فإن قالوا ، ما ذكرتموه عن إبراهيم عن عبد الله غير متصل ، قيل لهم ، كان إبراهيم إذا أرسل عن عبد الله لم يرسله إلا بعد صحته عنده وتواتر الرواية عن عبد الله » (٢) .

العدد ٤ - المجلد ٣٩ - ج ٢، السنة ١٤١٤
البعث الإسلامي
وحكى الحافظ ابن حجر في ذلك من قول البيهقي : « طاؤوس وان لم يلق معاذ ، إلا أنه يمانى ، وسيرة معاذ بينهم مشهورة » (١) .
ومثل رواية طاؤوس عن معاذ ، رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عبد الله - رضي الله تعالى عنهم - ذكر الطحاوي بعد أن جاء برواية لأبي عبيدة عن أبيه عبد الله :

« فإن قال قائل .. وهذا منقطع لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً »
قيل له : « ليس من هذه الجهة احتججنا لكلام أبي عبيدة ، وإنما احتججنا به لأن مثله على تقدمه في العلم وموضعه من عبد الله وخلطته لخاصته من بعده ، لا يخفى عليه مثل هذا من أمره ، فجعلنا قوله ذلك حجة فيما ذكرناه لا من الطريق الذي وضعه » (٢) .

وقال التهانوي - رحمه الله تعالى - في ذلك :
« وأبو عبيدة وإن لم يسمع عن أبيه ، فهو أعلم بحديث أبيه ومذهبة وفتياه من غيره ، نص عليه الحافظ الدارقطني في سننه وصح له أحاديث عن أبيه في سننه . وكذا صاحب الحكم في المستدرك حديثه عن أبيه وأقره عليه الذهبي في تلخيصه » (٢) .

ومن هنا قال البنوري وهو يتكلم في حديث أبي عبيدة المذكور :

(١) (تلخيص الحبير) : ١٦٠/٢ .

(٢) (شرح معاني الآثار) كتاب الطهارة ، باب الرجل لا يجد إلا نبيذ التمر (اماني الاخبار) في شرح معاني الآثار : ٦٤/٢ .

(٢) (اعلاء السنن) : ١٩/٧٢ . (سنن الدارقطني) : ٥٢/١ ، ٢٦١/٢ . (المستدرك) : ٢١/٢ . هذا وقد أثبت الحافظ البدر العيني من سمع أبي عبيدة عن أبيه بتحقيق مقنع (معارف السنن : ١٢٤/١) .

(١) (معارف السنن) : ١/١٢٥ .

(٢) (شرح معاني الآثار) كتاب الصلاة باب التكبير للركوع والسجود والرفع من الركوع . و (الترمذى مع التحفة) كتاب العلل : ١٠/٥١٤ .

(٢) (شرح معاني الآثار) كتاب الصلاة ، باب التكبير للركوع والسجود .

مع الاعتزاز:

على الحق هذا التمهيد قبل الخوض في نفس الموضوع الذي أريد مناقشته . لكن أرجو أن هذا الإطناب سيكون نافعاً ممتعاً لا ضائعاً مثلاً . وقد رتبت هذا البحث في خمسة أبواب :

الباب الأول : في تعريف الضعيف والموضوع وأحكامها إجمالاً .

الباب الثاني : في اعتبار الضعيف في الفضائل .

الباب الثالث : في تلقى الضعيف بالقبول وحكمه بذلك .

الباب الرابع : في ورود الضعيف بكثرة الطرق واستفادته بذلك .

الباب الخامس : في الاحتجاج بالضعف في الأحكام .

وحاصل ما سيأتي من الأبحاث في الأبواب - من الثاني إلى الخامس -

إن المسائل الثلاث الأولى اتفاقية وإجماعية بين أهل المذاهب والخلاف فيها يسير بينهم بحيث لم يعتبروه . وأما المسألة الأخيرة أي الاحتجاج بالضعف في الأحكام ففيها أيضاً نوع اتفاق وإجماع بين علماء المذاهب الأربع وأئمتهم .

وكل هذا يدلنا على أن مطلق الضعف ليس شأنه شأن «الموضوع» إطلاقاً ويرشدنا إلى أن وضعهما في كفة واحدة والإعراض عن مطلق الضعف استشهاداً واعتباراً واحتجاجاً خرق للإجماع ومخالفة لما كان عليه وقبله الجمهور أو معظم علماء الأئمة وأئمتهم وسوادهم على الأقل فهذا معاً لا يجترئ عليه إلا غافل أو معاند ومتغافل ، والله يهديه وإياانا إلى الصواب وإليه المرجع والماب .

[يتبع]

وقد قال الإمام الشافعي في استدلاله لمراسيل سعيد بن المسيب : «إن مراسيله سبرت فكانت مأخوذة عن أبي هريرة لما بينها من الوصلة والصهارة فصار إرساله كاسناده عنه» (١) .

ونحوه قول يحيى بن سعيد القطان في أحاديث حسن البصري التي أرسلها فإنه قال :

«ما قال الحسن في حديثه : قال رسول الله - ﷺ - إلا وجدنا له أصلاً إلا حديئاً أو حديثين» (٢) .

وجاء من قول الإمام الشافعي في كتابه «الرسالة» :

« وكل حديث كتبه منقطعاً فقد سمعته متصلةً أو مشهوراً عن من روى عنه بنقل عامة من أهل العلم يعرفونه عامّة» (٢) .

فهكذا ربما يضعون قواعد ويختارون ضوابط ، يدرك بها حال الحديث اتصالاً وإنقطاعاً أو قبولاً وردًا .

(١) (تدريب الراوي) : ٢٠٠/١ . ٢٠١-٢٠٠/١ .

(٢) (الترمذى مع التحفة) كتاب العلل : ٥١٢/١٠ .

(٣) (الرسالة) : ص ٤٢١ .

أدب الرسول - ﷺ

(الحلقة الخامسة)

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوبي

أدعية - صلى الله عليه وسلم -

مَا لا شك فيه أن نصوص كلام رسول الله - ﷺ - تحمل مادة أدبية مؤثرة كبيرة تعالوا بنا نبحث عن هذه المادة في أدعية يخاطب فيها

ربه ويناجيه مناجاة تبتل وانقطاع .

عبد الله حاسرين رؤوسهم محاكين بوقوفهم هذا وقوفهم أمام الله يوم القيمة الذي لا تملك فيه نفس شيئاً ويكون الحكم كله لله . يقف رسول الله - ﷺ - هذا الموقف من عرفات ويناجي ربه وينطق بكلمات وتعبيرات كأنها قطع من القلب وتصورات مجسدة متحركة وتصوير لواقعية العبد الحقيقي الفقير أمام رب الخبير الغني . انظروا إلى الكلمات والتعبيرات (٢) .

يقول الرسول - ﷺ - (١) :

اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير . الوجل

(١) انظر أحاديث القصاص لابن تيمية : رقم الحديث : ٧٨ .

(٢) انظر البعث الإسلامي ، العدد الرابع . محرم الحرام ١٤٠٢ هـ .

(٣) انظر كتب السنة .

فيبني سعد ثم ترعرع وتربي في الفصاحة والبيان . وزادته خلواته في الغار جلاء في صدق الشعور وحسن التأمل ثم زينه كتاب الله وأدب القرآن الكريم وهو معجزة البيان العربي . فقد قال - عليه الصلاة والسلام - . أدعني ربي فأحسن تأدبي (١) . وقالت عائشة - رضي الله عنها - عنه - : كان خلقه القرآن الكريم : فكيف لا يكون الرسول - ﷺ - أروع تعبيراً وأجود بياناً وبخاصة فيما يخلو نفسه أمام ربه يتصور عجزه و حاجته ويرجو من رحمته ونصرته . ثم يحاول أن يخيف ذلك لربه . فأي قدرة بيانية تبقى ولا تتأتى لهذا الداعي المبين وبذلك تصبح أدعية رسول الله - ﷺ - قطعاً من البيان المعجز المشرق ومن أمثلة ذلك دعاؤه في عرفات .

فقد وقف في موقف عرفات الذي اجتمع فيه مائة وعشرون ألف عبد من عباد الله حاسرين رؤوسهم محاكين بوقوفهم هذا وقوفهم أمام الله يوم القيمة الذي لا تملك فيه نفس شيئاً ويكون الحكم كله لله . يقف رسول الله - ﷺ - هذا الموقف من عرفات ويناجي ربه وينطق بكلمات وتعبيرات كأنها قطع من القلب وتصورات مجسدة متحركة وتصوير لواقعية العبد الحقيقي الفقير أمام رب الخبير الغني . انظروا إلى الكلمات والتعبيرات (٢) .

يقول الرسول - ﷺ - (١) :

اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير . الوجل

(١) انظر أحاديث القصاص لابن تيمية : رقم الحديث : ٧٨ .

(٢) انظر البعث الإسلامي ، العدد الرابع . محرم الحرام ١٤٠٢ هـ .

(٣) انظر كتب السنة .

الشفق . والمقر المعترف بذنبي . أسألك مسألة المسكين وابتله إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاقت لك عبرته . وذل لك جسمه . ورغم لك أنه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا . وكن لي رؤوفا رحيمًا يا خير المستولين ويا خير المعطين .

يقول فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوبي في مقالته (٢) :

« إن قيمة الأدب هي أن يصور من الإنسان ومن أحواله ما لا يصوره الكلام العقلي العام . وذلك بأن يشعر القارئ أو السامع أنه لا يسمع ولا يقرأ بل إنما ينظر ويشاهد . وبهذه الميزة يلقب الأدب دوراً مهماً في الحياة ولكن البيان يقتصر على صاحب البيان وعلى طاقاته وموهبه . وهو يتجلى بشكل قوى في كلام الرسول - ﷺ . لقد بدأ رسول الله - ﷺ بدعائه هذا في صورة عبد ضرير محروم فقير إلى عطف ربه خائف من سخطه ، فهو إذن في ذعر وخوف فإن رب هو رب الأرض والسماء وب Sidney معه المنع والعطاء . فإذا لم ينزل العبد رضاه وعطاؤه فماله من خلاص ولا نجاة » .

ومن هذا القبيل نفسه دعاؤه - ﷺ - في الطائف ، ولابد قبل سرد دعائه النظر إلى خليفة هذا الدعاء .

لقد كان الرسول - ﷺ - بسبب دعوته في مكة في محبة وبلاء تعاملات قريش عليه بعقولها ووسائلها وكادت تنجح لو لم يكن عم أبو طالب الذي متديننا بدين قريش ينافع عن ابن أخيه ويحوطه بالعطف

البعث الإسلامي
أدب الرسول - ٤٥٦

والنصرة ، ولقد وجد رسول الله - ﷺ - فيه ملجاً مادياً ظاهراً وكانت زوجته خديجة - رضي الله عنها - تحوطه بالعطف وإدخال الطمأنينة في قلبه حينما كان يعود - ﷺ - إلى بيته .

ولقد حاولت قريش صرف أبي طالب عن نصرة رسول الله - ﷺ - وحملته على إقناعه بأن يترك الدعوة . وقد تأثر أبو طالب بمحاولة قريش وتكلم مع رسول الله - ﷺ - في ذلك وبصره بالوضع الشائك فظن بذلك رسول الله - ﷺ - إن هذا السنده الظاهري القوي أيضًا كاد يضعف عن نصرته ، فأثر ذلك في نفسه ولكنه لم يتغير . لا شك أنه تأثر بذلك فظهر ذلك في رقته وبكانه عند رده على أبي طالب . ولكنه كان ثابتًا على دعوته لم يتغير ، فعبر عن ذلك بخير تعبير وأقوى أسلوب حيث قال : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارِي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته ، واستعتبر رسول الله - ﷺ - فبكى ، ثم قام : فلما ولَى ناداه أبو طالب وكان قد تأثر من قول ابن أخيه الحبيب ، وقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل : مَاذَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِكُ لَشَيْءًا ، أَبْدًا (١) .

توفي أبو طالب عمه هذا وتوفيت خديجة زوجته في سنة واحدة . وأصبح رسول الله - ﷺ - في مكة بدون جوار قوي ، والأمر صعب بدون الجوار فتوجه الرسول - ﷺ - إلى الطائف ، وهي المدينة التي كانت تنافس مكة في الكانة وكان يؤمن أنه قد يلقى في الطائف من سادتها من يقبل دعوته ويقوم بنصرته وحمايته . وفي هذه الحالة من الأسى والأمل وصل

(١) انظر التفصيل في سيرة ابن هشام .

(١) مجلة البعث الإسلامي : العدد الرابع ، محرم الحرام ١٤٠٢هـ .

إلى الطائف مجتازاً الجبال والوديان محتملاً لشدائند السفر ، ولما وصل إليها ولقي سادتها وجد منهم كل عنف وجفاء ، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا شبابهم وسفهاءهم يتبعونه ويخرجونه بالحجارة . فخرج بائساً حزيناً محطم النفس ضائع الأمل مجهوداً غريباً ، فلما ابتعد عن عمران الطائف وتبعه سفهاء الشباب ، وقد رموه بالحجارة حتى دميت رجله الكريمان ، جلس تحت ظل في مكان ليرتاح قليلاً . وحينئذ انفجر قلبه بالدعاء (١) .

فيما ترى ماذا يكون الدعاء وبأي كلمات يتكون ، وأي تعبير يمكنه أن لا تكون كلماته كلها عواطف مجسدة تطفع بالآلامه وشعوره بالحرمان والأذى المعيب في حالي الغربة والفقر وشدة الحال في المستقبل فهو يتصور عودته إلى مكة . كيف تكون : ألا يواجه هناك سخرية وهزءاً من هذه النتيجة التي لقيها بعد جهد وأمل .

رسول الله - ﷺ - هو الرجل البليغ صاحب البيان واللسان ، فماذا يمكن أن يكون دعاءه في هذه المناسبة ، هل يكون مرآة لسقوط الهمة واليأس أو مظهراً لغضبه على هؤلاء الأشرار وطلب عقاب الله لهم ، أو تناسياً لكل ذلك وتواضعاً تخفي وراء هما الحقيقة وهو الإنسان والرسول ، فإنسانيته تقتضي منه أن يبدو ساقط الهمة أو مستشبطاً بالغضب من الأشرار والأعداء وذا شكوى من رب كأنه لم ينصره في هذه الحنة القاسية .

ومكانة النبوة تقتضي منه أن يتغلب على العواطف البشرية الحرة

(١) انظر سير ابن هشام : ٤٥/٢ .

ويظهر في عبد مطيع لربه ممثل لأوامره ، وهذه هي نقطة بлагаً هذا النص . فقد جمع رسول الله - ﷺ - فيه كل هذه الجوانب جمعاً عجيبة . وبالفاظ وتعبيرات دقيقة ومحدودة فأصبح مثالاً للتعبير الشعوري الصادق قلماً يجمع نص أدبي بهذا الإيجاز السهل هذه الجوانب المتعددة الصعبة الاجتماع (١) . لقد دعا - ﷺ - بالكلمات الآتية :

الله إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهوانني على الناس ، رب المستضعفين إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن لك على غضب فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلام ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بي غضبك أو ينزل عليّ سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

يقول فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوبي في صدد بيان قيمة هذا الدعاء الأدبية . ينادي ربه ويشكو له ضعف حالته وضالة تدبيره وكيف أن الناس أصبحوا جراء عليه فلا يكرثون لكاتنه ولا لقيته . ثم يصف ربه بوصف يتناسب مع حاجته إليه مع حالته الضعيفة فيناديه . يقول : رب المستضعفين : لأن الناس استضعفوه إلى حد الاعتداء والظلم فيسأل ربه . هل تركتني يا رب ووكلتني إلى غيرك ، إلى بعيد مخالف يجافيوني وينكر حقي أو عدو لي جعلته مالكا لأموري فيصنع معي ما يشاء ، يقول هذا ولا ينسى أنه عبد طائع لله في كل أحوال مستعد لقبول كل ما يريد له ربه ومالكه ومهما كان . وإنه واضح

(١) انظر البعث الإسلامي : العدد الرابع . محرم الحرام ١٤٠٢هـ .

الفجر الدامي

جريمة ومحزرة في الحرم الإبراهيمي

بِقَمْ : سَعَادَةُ الدَّكْتُورُ عَدْنَانُ عَلَيْ رَضَا النَّحْوِي

البعث الإسلامي
نصب عينيه رضاه منه وعدم حلول غضبه عليه فيقول : إن لم يكن لك
عليّ غضب فلا أبالى : ثم يشير في أسلوب الإقرار العبدى إلى افتقاره
إلى فضل ربه والرجاء منه فيقول : ولكن عافيتك أوسع لي : ويكتفى
بهذه الإشارة الخفية إلى حاجته ويعود بربه من كل سوء ، ويعلم عظمة
ربه وسموته وانه نور السماوات والأرض فلا فرار من غضبه وسخطه إلا
إليه وانه لن يزال طالبا لزواله حتى يبلغ إلى رضاه . ولكنه لا يجد
لنفسه قوة في ذلك إلا بمعونة ربها وفضله .

لنفسه فهو في ذلك إله بحسب رأيه
وهنا دعاء آخر : دعا به الرسول - ﷺ - عند السفر ، ومن المعلوم ان
السفر حالة تثير فكر الإنسان وشعوره فهو يفكر في الأهداف المنشودة
ويحتمكم إلى عقله فيحمل نفسه على متابعة السفر ومخاطره ، وحينما
يفكر في مفارقة الأهل والأخوان وفي مخاطر السفر فيشعر بحنين
وخوف ويتمني العودة بالسلامة . يقول الرسول - ﷺ - في دعائه : اللهم
إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى . اللهم هون
 علينا سفرنا هذا واطو علينا بعد الأرض ، اللهم أنت الصاحب في السفر
والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة النظر
وسوء النقلب في الأهل والمال :

كلام جامع موجز شامل للمخاوف وطلب العافية وإظهار العبودية
والافتقار والالتجاء إلى رب جل وعلا ، ويكرر فيه كلة - اللهم - فيزيد
المعنى رقة واستعطافا على كل حال فإن أدعية الرسول - ﷺ - حاملة مادة
أدبية مؤثرة كبيرة - كما رأينا - فكل من ينظر فيها بهذه النظرة يجد
فيها قدرة بيانية ساحرة تعجز موهب الدنيا أن تأتي بأروع منها
[يتبع] وأبدع .

[٢٣]

و هنا رباط المؤمنين و ساحة
لجهادهم أو آية لهم

تلتلت الآفاق ، لا تلقى سوى
ساع يجيب نداءه أو مفتاح
.

و تنفس الصبح النبدي و حوت
بين الديار مني و طلعة شهد

يسعون للبيت المنور بالهدى
مستبشرين بجنة أو موعد

فربوعها ساح الرباط المؤمن
متواشب أو مؤمن متوجه

يتواصل التاريخ في ساحاته
بنبوة الإسلام و العهد النبدي

يسعون للحرم الظهور خطاه
نور يشق ظلام ليل أسود

نعم البكور . و تلك عزمتة مؤمن
و الجمعة الزهراء لهفة أرشد

والنور من "رمضان" من بلج على
ساحاته فيضاً غني المورد

يا للفضائل ! كلها قد جمعت
للصائمين القائمين السه

.

لله در البيت بيت نبأ
و شهادة صدق و طلعة رود
و كان إبراهيم يدعى الدعائى !

نادى وقال : هنا وفاء محمد
الصائمون العابدون خطفهم

شوق يلح ولهفة التعب
فكانها أبداً تحن لجنة

خضرة زاهية و بر أخذ
و أتوا البيت الله يخش عنده

قلب أبد و خفة
فترى مواكبهم هناك كأنهم

زهر الكواكب أو مطالع فرق
رفع الأذان فأقبلوا و صفوهم

مرصوصة و قال وبهم شوق الغد
الله أكبر ! فانحنوا لركوعهم

و الله يسمع خفة المتوج
رفعوا وأهوا للسجود فلا ترى

إلا خشوع العابدين السجد
دوى الرصاص ! و خلف كل رصاص

عات تمرس في الضلال الأنك
المجرمون ! فيا لهول جريمة

كبير ! و يال مجرم المترصد
كم مجرم في الأرض لم يقنت ولم

يخشع لخالقه ولم يتبع

لَا ! لَا يرِيدُونَ السَّلَامَ وَلَا يرِيدُونَ
يَالْمُسْلِمِينَ ، بِدَارِهِمْ . بِالْأَنْجَدِ

شرکا يمد لحائـر متعدد

أين العدالة و الوعود و كيف يرد ؟ دنيا حقوق مقتل و مطرد !

يا أمي، إن لم تفدي فاشهد
جي العدل من ذئب يجول وأسود (١٩)!

أمواج ليل زاحف متمدد
لي دی فاسه عیفی ممی

هي صفوفك . أمة الإسلام كالـ

بنیان مشدوداً بعهد آکادمی موضی میادین الجهاد و رجوعی

شوق الشهادة دون ذلك و انه دى
أمة الاسلام تان أمان

و شهادة لله ! قومي فاشه — دی

لَنْ يَقِيمُ الْعَدْلَ إِلَّا مَوْمَنٌ

صدق الإله . و قال : يا نفسي ردِي

دوی الرصاص ! فكم شهید فجرت
أضلاعه و مجنده

و تلاقت الأشلاء عبر فضائيه
سحوب ره

من أرض "شير" من أرض بوسنة صرخة لم تنجـد

من كل مجررة بقايا ام تلقى و تنثر في الفضاء الأردى

أضحت دماء المسلمين مباحة
للمجرمين ! لكل عاد مفسد

و ديارنا أضحت مفتاحا لهم

وَ قُلْوَبُنَا فَتَحْتَ لِفَتَّةٍ مَدْعَةٍ

ال مجرمون عصابة ممتددة
ف الأرض عن حشم الهوى المتمرد

يَا لِلْيَهُودَ ! وَ خَلْفَ كُلِّ مُصِيبَةٍ

فتن لهم ويد ! فيها شر اليهود
جعوا من الأحلاف بين حبالهم :

دولاً فما جوا بالبلاء المرع

من كان يحلم بالسلام مع اليهود
فذاك حلم الجاهل المتزي

دار الخليل تحيّة من مهجة

عرفت جلال جهادك المتوقـد

قد كنت بالأمس القريب غنيمة
بالبذل زاهي

طهرت أرضاك من تدفق رجسهم
٢١ . دمها بالطهير من دمك الندى

واليوم أعليت الوفاء فهو
زمر تواشب للشـ

وَغَدَا تَرِينَ مُواكِبًا مُوصَولَة
لِللهِ زَاحِفَةً وَطَالِعَةً رُودَ

و النصر كالفجر المنور مقبل
شري إليك و آية للهدا

ميلي إلى الأقصى ! حنينك لم يزل
صفوا و عهداك لم يزل أمل الغ

میلی ہنر اک و جدیدی عہدا ابر

1

(١) الأسد : الحة العظيمة

(٢) إشارة إلى ثورة سنة ١٩٢٩م حين ظهر أهل الخليل مدينة الخليل من اليهود وأعدم الإنجليز على أثر ذلك : عطاء الزير ومحمد جمجم من الخليل وفؤاد حجازي من صفد - رحمهم الله تعالى - ونفذ "الإعدام يوم الثلاثاء" .

صور وأوضاع :

نحو عالم جدید

واضح رشید الندوی

يشهد المسرح السياسي العالمي تطورات حاسمة يكون لها تأثير عميق على خريطة العالم في المستقبل . وتدل هذه التطورات على أن عالماً جديداً يتكون في الوقت الحاضر ، وسيكون هذا العالم مختلفاً تماماً عن العالم الذي نعيش فيه ، أو عشنا فيه في العهد الماضي .

الرأسمالية ، وعالم تحت القيادة الاشتراكية . وعالم ثالث يتكون من الدول النامية التي عاشت في الاستعمار الغربي طويلاً ، وعانت وشقيت واستقلت بعد الحرب العالمية الثانية . وكان العسكر الاشتراكي يساند هذا العالم الذي اضطهدته أوربا الغربية . الرأسمالية . وكانت الأمم المتحدة واللتقييات السياسية والاقتصادية والفكرية تشهد أحياناً صراعاً بين العسكرين . فكانت دول العالم الثالث تنضم إلى أحد العسكرين حول القضايا المتعددة ، وأغلبيتها كانت تنضم إلى العسكر الاشتراكي . وبسبب موقف دول أوربا الغربية الاستعماري التي كانت دائماً تنظر إلى الدول الضعيفة من موقف القوة ، والاستعلاء . توغلت الاشتراكية في هذه الفترة إلى معظم البلدان النامية باظهار العطف عليها

وَدُعمَهَا، دِفَاعِيَا وَاقْتَصَادِيَا. فَكَانَتْ فِي هَذِهِ الدُّولَ حُكُومَاتٍ تَتَظَاهِرُ بِمُحَارَبَةِ الْاسْتِعْمَارِ الْأُورْبِيِّ، وَنَفَدَ النَّظَامُ الْإِشتَرَاكِيُّ كُلِّيَا فِي بَعْضِ هَذِهِ

الدول وجزئياً في البعض الآخر . وقامت هذه الدول بتطوير نظمها السياسية للتطبيق بين الاشتراكية ، وبين معتقدات شعوبها ومذاهبها القومية .

وحدث انفكاك العالم الاشتراكي ، باندثار قلعة الاشتراكية في روسيا ، وانهيار الاتحاد الاشتراكي السوفيتي وانضمامه إلى العسكر الذي ظل يحاربه منذ إنشائه . لم يبق إلا عالم واحد ، وهو العالم الذي تقوده أمريكا وحلفاؤها . واضطر العالم الثالث إلى التصالح معه ، وإظهار الوفاء والولاء له .

كانت طبيعة الصراع غالبة على العالم الأوروبي الرأسمالي الذي عاش هذه المدة الطويلة في صراع مع الاشتراكية ، وباندثار قلعة الاشتراكية التي كان يحاربها . ويوجه إليها جميع طاقاته ، وكون لواجهتها قوة ضاربة كبرى وصوب إليها صواريخه وقذائفه ومدافعه بدأ يشعر بفراغ بعد تفكك الاتحاد السوفيتي . ولم يطب له أن يعيش بدون من يصارعه . أو يصوب إليه طاقاته المدمرة و ما أنشأ من شبكات التجسس .

والاستطلاع . فبحث عن عدو جديد . وسرعان ما وضع في هذا المكان الفارغ العالم الإسلامي وملأ الفراغ . ولم يكن هذا العالم قوة ضاربة متوازية للعالم الأوروبي المسيحي أو معادلة للاتحاد السوفيتي . وإنما كان مجموعة من الدول النامية المضطهدة التي طمس معالم تاريخها الاستعمار الغربي . وحطمت صلب المقاومة فيها . ونصب فيها حكومات موالية له ، لكن الأعلام الغربي . كون تمثلاً للأصولية الإسلامية . ليصوب الغرب سهامه إليه . وصور للعالم كله أن هذه هي القوة الكبرى الجديدة التي حل محل القوة الاشتراكية المنهارة . وقد ظهرت هذه القوة

الجديدة في بضعة أيام بل في ساعات . وتدرجياً أصبحت قوة تهدد أوربا كلها . وطار النوم عن عيون قادة أوربا . وفيهم قادة الدول الكبرى الذين لهم نفوذ في الأمم المتحدة والمنظمات العالمية الكبرى . ولهم أعلام عالمي خارق . من أمريكا إلى ألمانيا . وروسيا . حتى الصين والهند وبورما وسري لانكا اشتركت في الجهد ضد هجوم هذه القوة الجديدة ، قوة الأصولية الإسلامية .

واليوم هناك قوتان كبيرتان . قوة أعداء الأصولية الإسلامية التي تتكون من الدول غير الإسلامية . وحكومات بعض الدول الإسلامية . وقوة الأصولية الإسلامية وتتكون من الشعوب المسلمة التي ترغب في تطبيق المثل الإسلامية في حياتها . وطالبت حكوماتها بتطبيقاتها سياسيا .

القوة الأولى لها حكومات غربية وشرقية . مدعمة بالأسلحة الفتاك ، وسائل الإعلام . وقوات الأمن والمخابرات . والزنزانات . والمؤامرات . والقوة الاقتصادية لإجبار من يريد الإسلام على الاستسلام . والقوة الثانية عازلة عن السلاح . يعيش معظم أفرادها في السجون . والمعتقلات . وكثير منهم عاطلون عن العمل لأنهم فصلوا من مناصبهم لانتقامهم إلى الحركة الإسلامية . أو لشبهة فيهم يواجهون مطاردة من رجال الأمن . ويحكم عليهم بالاعلام . وينقلون إلى محاكمات . لكنهم يخيفون أوربا كلها والدول الخاضعة لتصورها عن الإسلام . وتحشد لحاربتهم جيوشها . وتعقد مؤتمرات لدراسة طبيعتهم . وتخوف قادة هذه القوى الكبرى القوة الجديدة . أو العدو الجديد . ويعتبرونه أخطر من الاشتراكية . رغم القوة العسكرية . والوسائل التكنولوجية الهائلة التي كان

يملكها العدو السابق ونظامه الدقيق للأخبار ، واتساع رقعة نفوذه وسيطرته على بلدان واسعة في أوروبا الشرقية ، وآسيا وإفريقيا ، وكونه طاقة متوازية ، بل متفوقة في بعض الميادين . وتصور أوروبا المسيحية التي ملأت العالم كله بذعرها وهولها من الأصولية الإسلامية ، أو الإسلام بتعبير أصبح . تصور للعالم أن هذه القوة أكبر من القوة السابقة التي حاربتها أوروبا ، وتنسى أوروبا أن الاشتراكية لم تسقط بمحاربتها وإنما سقطت لأنها كانت تقوم على أساس فلسفة غير عملية ، ولم تفن هذه الفلسفة شعبها . ولم تحل مشاكل البلاد التي فرضت فيها . وأدرك قادتها أن هذه الفلسفة لا تستطيع أن تعاصر هذا الزمن ، وتحل مشاكله ، فتخلوا عنها . وعجل بهذا السقوط تورط البلاد في حرب أفغانستان التي استهلكت جميع ما بقي فيها من قوة وعتاد . وكان سقوط هذه القوة اندارا إلى العالم الرأسمالي أيضاً بأن القوة العسكرية ، والوسائل المادية لا تستطيع أن تؤمن سلاماً بلد أو قوة ، إذا لم تكن له فلسفة حياة صالحة .

لقد أوجدت أوروبا الصليبية القوة الجديدة من خيالها ، وتقوى هذه القوة بالدعائية التي تقوم بها . وبالوسائل الرادعة التي تتخذها لكسر هذه القوة ، وقد اتاحت لها فرصة للإعلام من غير جهد فيها ، فإذا عادات العالم والصحف الأوروبية . والقيادة الأوروبية كلهم يكررون ويعيدون ذكر الإسلام ، والحركة الإسلامية ، والشباب المسلمين ، ويفحمن ما يبذل هؤلاء العاملون من جهود متواضعة ، فتنازل هذه الجهود المتواضعة دعاية واسعة . ويعرفها المسلمون وغير المسلمين . أن للمسلمين قوة ، وأن للإسلام انتشاراً .

وتتصدر أحياناً في الصحف الأوروبية مقالات وتقارير تقول : إن الإسلام يتغلب إلى أوربا نفسها وأن عدد المسلمين يزداد في أمريكا ، ويقاد عددهم يزيد عن عدد اليهود ، وكذلك في فرنسا . تخوف الصحف والإذاعة بتصاعد عدد المسلمين . واشتركت ألمانيا حديثاً في إبداء هذا الذعر فصرح هلنت كول بعد محادثاته مع الرئيس كلنتن أن الإسلام خطر عالي . وأشار إلى أحياء محاكم التفتيش لوقف انتشار الإسلام . وفي هذا الذعر بدأ بعض الشباب يهجمون على المساجد والمدارس ، وال محلات التجارية المسلمين ، وبذلك انهم يثيرون العاطفة الإسلامية ، والشعور بالانتماء إلى الإسلام في قلوب العمال المسلمين من تركيا وألبانيا ، ودول أخرى . وهم لا يشعرون ، فاعادوا بذلك من كان حائراً ، شارداً ، بعيداً عن الإسلام . اعادوه إلى الإسلام .

ومثل هذا الوضع حدث في نيجيريا حيث حدثت اشتباكات بين المسلمين والمسيحيين ، وارتيريا ، حيث فرضت حكومة مسيحية على الأغلبية الإسلامية فقامت جبهة إسلامية لحاربتها ، والسودان ، حيث تساند أوربا جنوب السودان ، وتوجه ضغوطاً إلى حكومة السودان للغاء القوانين الإسلامية ، بينما تتجاهل عن المذاهب التي يتعرض لها المسلمون في إسرائيل ، والبوسنة ، وأماكن أخرى .

ويدل على هذه الدعاية المخيفة موقف البوذيين في سري لنكا الذين اعترضوا على قيام المجلس الإسلامي لآسيا في سري لنكا ، وقالوا : إن بلادهم بلاد بوذية ، ولا يمكن أن يسمح في تلك البلاد بانتشار الإسلام وطالبو الحكومة بفرض حظر على مثل هذا المجلس .

واشتركت أوربا الهند أيضاً في هذا الذعر . فقامت بتحريض الحركات

المناؤة للإسلام في الهند بمحاربة الإسلام والمسلمين وحرضت الحكومة على محاربة الأصولية .

وفي هذه الفترة وقعت حوادث في مختلف أنحاء العالم للاعتداء على المساجد ، وإغلاق المدارس ، ومنع الحجبات من التعليم ، والعمل في المكتب ، ولأول مرة اضطرت جمعية إسلامية في فرنسا إلى محاربة ضد قرار منع الحجبات من التعليم . وانتصرت لنيلها تأييداً شعبياً لقضيتها .

لقد كانت الحركة الإسلامية ضعيفة مستضعفه ، لم يكن لديها عاملون ، مجتهدون ، ومجاهدون . ولم تكن لديها وسائل الإعلام من الصحف والإذاعة ، والتلفزيون ، فهيأت أوربا بمحاربتها للحركة الإسلامية هذه القوة ، والانتشار ، ووحدت بين صفوف العاملين ، ووجهت كثيراً من أصحاب العقول الحرة والأذهان المفتوحة إلى دراسة الإسلام ، لعرفة هذا العدو ، ومصادر قوته ، وفتح الله بذلك قلوب كثير منهم وشرح أذهانهم ، فأصبحوا من الدافعين عن الإسلام وحمايته ، وسيكسب الإسلام بذلك نفوساً جديدة ، وتزداد الحماسة للعمل من أجله وتجيش العاطفة ويزداد الشعور ، إذ استمرت هذه الحرب النفسية ضد الإسلام وسيبرز العالم الإسلامي في حقيقته ، وقوته وشخصيته كقوة عالمية موحدة تناهض القوى التخريبية المناؤة للإنسان والإنسانية . والله جنود السماوات والأرض .